هذا كتاب متن الشفا في قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
رضي الله عنه الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى • المختص بالملك الاعز
الاحمى • الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى • الظاهر لا تخيلا ووهما •
والباطن تقدسا لا عدما • ووسع كل شيء رحمة وعلما • واسبغ على اوليائه
نعما عما • وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربا وعجما • وازكاهم محتدا
ومنمى • وارجحهم عقلا وحلما • واوفرهم علما وفهما • واقواهم يقينا
وعزما • واشدهم بهم رافة ورحما • زكاه روحا وجسما • وحاشاه عيبا
ووصما • واتاه حكمة وحكما • وفتح به اعينا عميا • وقلوبا غلفا • واذانا صما
فامن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما • وكذب به
وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقا حتما • ومن كان في هذه اعمى فهو في
الاخرة اعمى • صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى • وعلى اله وسلم
تسليما • اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين • ولطف لي
ولك بما لطف به لاوليائه المتقين • الذين شرفهم الله بنزل قدسه • واوحشهم
من الخليقة بانسه • وخصهم من معرفته • ومشاهدة عجايب ملكوته
واثار قدرته • بما ملا قلوبهم حبرة • ووله عقولهم في عظمته حيرة •
فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره • فهم بمشاهدة جماله وجلاله
يتنعمون • وبين اثار قدرته وعجايب عظمته يترددون • وبالانقطاع
اليه والتوكل عليه يتعززون • لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون • فانك كررت علي السوال في مجموع يتضمن التعريف بقدر

المصطفى

المصطفى صلى الله عليه وسلم • وما يجب له من توقير واكرام • وما حكم من لم يوف واجب
عظيم ذلك القدر • او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر • وان اجمع لك
ما لاسلافنا وايمتنا في ذلك من مقال • وابينه بتنزيل صور وامثال •
فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا • وارهقتني فيما ندبتني
اليه عسرا • وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملا قلبي رعبا • فان الكلام
في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول • والكشف عن غوامض ودقايق
من علم الحقايق مما يجب للنبي ويضاف اليه • او يمتنع او يجوز عليه • ومعرفة
النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصايص هذه الدرجة
العلية وها هنا مهامه فيح تحار فيها القطا • وتقصر بها الخطا ومجاهل
تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم • ونظر سديد • ومداحض
تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد • لكني لما رجوته
لي ولك في هذا السوال والجواب من نوال وثواب • بتعريف قدره الجسيم
وخلقه العظيم • وبيان خصايصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان
الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق • ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا • ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه • ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن
احمد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد ثنا
ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد الله المومن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا
سليمان بن الاشعث ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد اخبرنا علي بن الحكم
عن عطا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة
فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض موديا من ذلك الحق المفترض •
اختلستها على استعجال لما المرء من صدده من شغل البدن والبال •
بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل
وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل
شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله • فليس ثم سوى حضرة النعيم
او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح •
يستزيده • وعلم نافع يفيده او يستفيده • جبر الله صدع قلوبنا وغفر
عظيم ذنوبنا • وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا لما ينجينا •

ويثيبنا الله تعالى عليه ويحظينا به ورحمته **ولما** نويت تقريبه ودرجت
تبويبه • ومهدت تأصيله • وخلصت تفصيله • وانتحيت حصره وتحصيله
ترجمته **بالشفا بتعريف حقوق المصطفى** وحصرت الكلام فيه في اقسام
اربعة **القسم الاول** في تعظيم العلي الاعلى لقدر النبي قولا وفعلا
وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب **الباب الاول** في ثنائه تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول **الباب**
الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا **الباب**
الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا •
الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات
والمعجزات • وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا
القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام • ويترتب
القول فيه في اربعة ابواب **الباب الاول** في فرض الايمان به
ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول **الباب الثاني**
في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول **الباب الثالث** في تعظيم
امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول **الباب الرابع** في حكم
الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول **القسم**
الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية
ان يضاف اليه **وهذا** القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة
هذه الابواب • وما قبله له كالقواعد والتمهيدات • والدلائل على
ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من
غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته والتفصي عن
عهدته يشرق صدر العدو اللعين • ويشرق قلب المؤمن باليقين
وتملأ انواره جوانح صدره • ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر
الكلام فيه في بابين **الباب الاول** يختص بالامور الدينية
ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا **الباب**
الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه من الاعراض البشرية
وفيه تسعة فصول **القسم الرابع** في تصرف وجوه الاحكام على من

تنقصه

تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين **الباب الاول**
في بيان ما هو في حقه سب ونقص • من تعريض او نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر
استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول **وختمناه**
بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسالة ووصلة للبابين الذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى
الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة فصول • وبتمامها
ينتجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب • ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة
وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس •
ويشفي صدور قوم مؤمنين • ويصدع بالحق ويعرض عن الجاهلين
وبالله تعالى لا اله سواه استعين **القسم الاول** في تعظيم العلي
الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا **قال** القاضي الامام ابو الفضل
رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من
فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضائل
ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه
الالسنة والاقلام **فمنها** ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه
واثنى به عليه من اخلاقه وادابه • وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه •
فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى • ثم طهر وزكى • ثم مدح بذلك
واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا • والحمد اولى
واخرى **ومنها** ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب
الكريمة والفضائل العديدة • وتاييده بالمعجزات الباهرة • والبراهين
الواضحة • والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره • وراها من
ادركه • وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا
وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا **حدثنا**
القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة
مني عليه قال ثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل
احمد بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا ابو علي
السنجي قال ثنا محمد بن احمد بن محبوب ثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ

قال ثنا اسحاق بن منصور قال ثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ايمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا **الباب الاول** في ثنا الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه **اعلم** ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا في ذلك عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جا من ذلك مجي المدح والثنا وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفا وقراة الجمهور بالضم قال القاضي الامام ابو الفضل رحمه الله اعلم الله تعالى المومنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته ولا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربي وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمومنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمايه روف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابايي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح وقال ابن الكلبي كتبت للنبي عليه السلام خمسماية ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال

من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شي من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة **وحكي** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثنا الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه السلام وقوله مثل نوره اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضي اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله

باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة
شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال
سهل بنور النبوة • وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر
قلبك حتى لا يوذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله الا
الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال القاضي ابو الفضل هذا تقرير
من الله جل اسمه لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وتشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه
لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما
كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة
لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة
فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال
ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا
من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد
بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن
ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله
والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع
هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين
بن علي الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال ثنا
ابو عمر النمري قال ثنا ابو محمد بن عبد المومن ثنا ابو بكر بن داسة قال
ثنا ابو داود السجزي ثنا ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن منصور عن
عبد الله بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال لا يقولن احدكم ما شا الله وشا فلان ولكن ما شا الله ثم شا فلان •
قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم
مشية الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي
بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بيس خطيب القوم انت قم او قال
اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من
التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي
سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى
ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني
في قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة على
الله تعالى والملايكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخص الضمير
بالملايكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملايكته يصلون وقد روي عن
عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين روي انه قال لما نزلت هذه الاية •
قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد
اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه
حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله عز وجل صراط الذين
انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى
الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن
زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى
فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام • وقيل
شهادة التوحيد • وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله

لا تحصوها ان النعمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء
بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الاية اكثر المفسرين على ان الذي
جا بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي
صدق به وقري صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المومنون
وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد
في قوله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه **الفصل الثاني** في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق
بها من الثنا والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة
وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم
الرسالة وهي من خصايصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق
حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن
محمد قال ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطا
ابن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التورية
ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيية السيية ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا • وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام • وكعب الاحبار • وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق
كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة
معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته
والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به
بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد
النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة

واولف

واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة
اخرجت للناس • وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة
او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال • وقال تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الايتين • وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية
قال السمرقندي ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمومنين •
رووفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله جعله
الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم
وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهدا على الناس وكذلك قوله فكيف اذا
جينا من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى
هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة
خيارا عدولا لتشهدوا للانبيا على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق
قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبيا هل بلغتم فيقولون نعم
فتقول اممهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه
وسلم للانبيا ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال
تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن
وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن
الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد
الله التستري هي سابقة رحمة اودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع •
والسايل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي **الفصل
الثالث** فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك
قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا
افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله • وقال عون بن عبد الله

اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه •
عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم •
بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى
برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى
يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله
ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه تعالى اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة
غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه
وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم
اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن
لهم • قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب باداب القران في قوله
وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة
الاداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال
من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويثير ما فيها من
الفوائد وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب
ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد الزلات وعاتب
نبينا عليه السلام قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط
المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر
ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه
وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى
الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى
فانهم لا يكذبونك الاية • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه
حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون
انك صادق فانزل الله هذه الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ
من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا
يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب

ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم
اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره لقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد
كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرا لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك
ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل
لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى
خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى •
يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل •
يا ايها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال •
الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير • في هذا
انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله
ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد
وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم • وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد وما سمعت
الله تعالى اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد
غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقران
الحكيم الايات • اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد
مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما
ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر •
الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم • وعن ابن عباس •
يس يا انسان اراد محمدا وقال هو قسم وهو من اسماء الله تبارك وتعالى وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس
يا محمد • وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام
يا محمد انك لمن المرسلين • ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين • فان
قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم
ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى •
النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم

الله تعالى بالقسم وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق • قال النقاش لم يقسم الله تبارك وتعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر • وقال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسير وان المراد بالبلد عند هولاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح • لان السورة مكية وما بعده يصحح قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان • ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال الله تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله • التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهم السلام • وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقران المجيد • اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب • والمشاهدة ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله تعالى وقيل هو جبل محيط بالارض وقيل غير هذا • وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال والنجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان • الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له لتحقيق مكانته عنده قال جل اسمه

والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت هذه السورة قال القاضي الامام ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله الله لرسوله وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اي ما لك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام • في الدارين والزيادة قال ابن اسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض ال النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس اية في القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار • الخامس ما عدده تعالى عليه من نعمه وقرره من الائه قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما اعطاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه وقيل اواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا • واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقيل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره • باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم باقاويل معروفة

منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام
وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه
السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد
واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى
وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله تعالى جبريل وهو الشديد القوى
ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
والتصديق ببصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على
مثل هذا تعالى في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا
تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على
التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل
النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ من انواع ابواب
الايجاز وقال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت
الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات
الكبرى قال الفقيه القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الآيات على
اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات في هذا
المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله
ما زاغ البصر وما طغى وقال الله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس الى قوله وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم
لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة
على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه عز وجل
رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن
عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل صلى الله
عليه وسلم فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه
وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم
ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء والتذكير بحكمه

وبعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال الله تعالى ن والقلم الآيات
اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم
مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا
خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى
درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير
منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون
ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد
بحرفي التأكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام
وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى
عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه
جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الخبير المحسن الجواد الحميد الذي
يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر
نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من
عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف
بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك
بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة
من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين
ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده **الفصل
السادس** فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والا[كرام]
قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه
عليه السلام وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل
هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل
هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك
ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر
والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت

قال ثنا ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي ثنا ابراهيم بن خريم الشاشي
قال ثنا عبد الله بن حميد ثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى
فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى
ولا خفا بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمايه
عليه السلام كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط
الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا
بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله
قوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ثم قال ان نشا ننزل
عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله
تعالى فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله ولقد استهزي برسل
من قبلك الاية قال مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين
واعلمه ان من تمادى على ذلك حل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله
تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
عزاه الله بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيايهم قبله ومحنتهم
بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي
ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض
عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى
فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك
ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في اي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته على الانبيا وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
قال ابو الحسن القابسي استخص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل
لم يوته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون
اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم
ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليومنن به وقيل ان يبينه لقومه

ويأخذ

ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاكم الخطاب لاهل
الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي
الله عنه لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى
الله عليه وسلم لين بعث وهو حي ليومنن به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك على
قومه ونحوه عن السدي وقتادة في اي تضمنت فضله من غير وجه واحد
قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي
انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبيا
وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل
النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره
مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ
الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع
بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود
واحلت له الغنايم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبيا
اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها
قال بعضهم ومن تفضيله ان الله تعالى خاطب الانبيا باسمايهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى
السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء
عايدة على محمد صلى الله عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي
على دينه ومنهاجه واجازه الفرا وحكاه عنه مكي وقيل المراد به نوح عليه
السلام

الفصل الثامن في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه
وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة

ولقي فيها من بقي من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون • وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مومنون الاية فلما هاجر المومنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون الي وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلي الله عليه وسلم ودرءه العذاب علي اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المومنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي حدثنا ابو يعلي بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسي الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابن نمير عن اسماعيل ابن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة عن ابي موسي عن ابيه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انزل الله تعالي علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالي وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلي الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش ودامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت فانتظروا البلا والفتن وقال الله تعالي ان الله وملايكته يصلون علي النبي الاية ابان الله تعالي فضل نبيه صلي الله عليه وسلم • بصلاته عليه ثم بصلاة ملايكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكي ابو بكر بن فورك ان بعض العلما تاول قوله صلي الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة علي هذا اي في صلاة الله علي وملايكته وامره الامة بذلك الي يوم القيمة الي والصلاة من الملايكة استغفار ومنا له دعا ومن الله تعالي رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلي الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه • وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالي لنبيه قال الله تعالي اليس الله بكاف عبده والها هدايته قال ويهديك صراطا مستقيما والبا تاييده قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله •

يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله وملايكته يصلون علي النبي وقال تعالي وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية اي وليه وصالح المومنين قيل الانبيا وقيل الملايكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المومنون علي ظاهره **الفصل التاسع** فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالي انا فتحنا لك فتحا مبينا الي قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثنا عليه وكرم منزلته عند الله تعالي ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتها اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضا • المبين بظهوره وغلبته علي عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مواخذ بما كان وما يكون • قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك • وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطايف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته علي امته المومنين بالسكينة • والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسو منقلبهم • ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصايصه من شهادته علي امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من • الضلالات ليومن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسني ويعزروه اي يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه اي يعظموه وقرا بعضهم يعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهران هذا في حق محمد صلي الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الي الله تعالي قال ابن عطا جمع للنبي صلي الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرية من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة

والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته
عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به
الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه
الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا
وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني
التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة
الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد
عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه
استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان
المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول
في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو
الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في
قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم
من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في
هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته
اي ما قتلتموهم اذ قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصا
والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل
الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه
به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من
قصة الاسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من
عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك
عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر
بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله
تعالى به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم
نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن
طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه
وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والتفسير

في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه والكوثر
حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل
المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد
عليه قوله فقال ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر
الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال ولقد
آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور
الطوال الاول والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع المثاني
ام القرآن والقرآن العظيم وقيل السبع المثاني ما في القرآن من امر
ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبا العظيم
القرآن وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله
استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبيا وسمى
القرآن مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع
كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما
ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا الاية قال الفقيه القاضي رضي الله عنه
فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق
كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى
النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل
التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو
ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى
من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج
في الاخرة وقد تري وجواب لهم ولا يغرايه الان لمخالفته المخصوصين
وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال
الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا صلى الله عليه وسلم **اعلم**
ايها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل
قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي
اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد
فاعله ويتقرب الى الله تعالى به ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص
لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض
فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال
خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه
وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه
وملبسه ومسكنه ومكسبه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق
هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن
على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة
واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية
من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحيا والمروة والصمت والتؤدة
والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي
جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة
واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها ولكنه
لا بد ان تكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان
شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه
الله تعالى والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها
فصل اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا
الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر
اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى
يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب
اثرة وحظوة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم

قدر

قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال
ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة
والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا والاسرا والروية والقرب والدنو
والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء
والشهادة بين الانبيا والامم وسيادة ولد ادم ولوا الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية
ورحمة للعالمين واعطا الرضا والسوال والكوثر وسماع القول
واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر
ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملائكة وايتا
الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقران العظيم وتزكية الامة والدعا
الى الله تعالى وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراك الله
ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم
الجمادات والعجم واحيا الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه
وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب
والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابرا الالام والعصمة
من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك
ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الاخرة من منازل الكرامة
ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي يقف
دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم **فصل** ان قلت
اكرمك الله لا خفا على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلا الناس
قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا
النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير
مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها
دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع
اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت
الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك

وابي هريرة والبراء بن عازب وعايشة ام المومنين وبن ابي هالة وابي جحيفة
وجابر بن سمرة وام معبد وبن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل
والعدا بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنا
افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملا صدره سوا البطن والصدر
واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام • عبل العضدين والذراعين
والاسافل رحب الكفين والقدمين سايل الاطراف • انور المتجرد
دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد
ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه
وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل
حب الغمام اذا تكلم روي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس
بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم • قال البرا ما رايت
من ذي لمة في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو هريرة ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا في الجدر وقال جابر بن
سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال
لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته
به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن
هالة يتلالا وجهه تلالو القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في
اخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول
ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم • والاحاديث في بسط
صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت
ما جا فيها وجملة ما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب ان شا الله وختمنا
هذه الفصول بحديث جامع لذلك نقف عليه هنالك ان شا الله

فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته
عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصايص لم
توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر •
وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغيره قال حدثنا
قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي •

نكت

ثنا ابن سفيان ثنا مسلم • قالوا ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت
عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيا اطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار
قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد
ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها
ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه
بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب • وذكر البخاري
في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحاق بن راهويه
ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم • وروى
البخاري عن جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم
النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا • وقد حكى بعض المعتنين باخباره
وشمايله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت
الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى
الله عليه وسلم • واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا
عن عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا فلا نرا
منك شيا من الاذى فقال يا عايشة او ما علمت ان الارض تبتلع
ما يخرج من الانبيا ولا يرى منه شي وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا
فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم
وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر
وقد حكى القولين عن العلما في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتاب
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم
من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن
منه شي يكره ولا غير طيب • ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت
النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا
فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت ريح طيبة لم نجد مثلها قط •
ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم

بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن يصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاهم عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة

وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم كان محفوظا

فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثبوت فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقرير لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم راييا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم

الاكحبة رمل من بين رمال الدنيا • وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين • وفي الموطا عنه عليه السلام انه قال اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس بن مالك في الصحيحين وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زادها الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الى من امامي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي • وحكى بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته الملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وقد مات بالحبشة • وبيت المقدس حين وصفه لقريش • والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه **حدثنا** ابو الحسن المقرئ الفرغاني قال حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن علي ابن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد ابن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى • وقد جاءت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو

غير مكترث وفي صفته انه يتكلم كان يتبسم واذا التفت التفت معا، واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب. فصل واما فصاحة اللسان فقد
كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل
مع سلامة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ، وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم، وخص ببدايع الحكم
وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها
ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير
موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك،
وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه
مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث
ابن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك
اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها
تاكلون علافها وترعون عفاها لنا من دفيهم وصرامهم ما سلموا
بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها
في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد، من اقام الصلاة
كان مسلما، ومن اتى الزكاة كان محسنا، ومن شهد ان لا اله الا الله
كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك، ووضايع الملك لا تلطط
في الزكاة، ولا تلحد في الحياة ولا تثاقل عن الصلوات، وكتب لهم في
الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم، ولا يحبس دركم ما لم تضمروا ا
الرماق، وتاكلوا الرباق، من اقر فله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى فعليه
الربوة، ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا
الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة
في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا
من كتابه لانس في الصدقة المشهور، لما كان كلام هولاء على هذا الحد

وبلاغتهم

وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم
ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث
عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال
فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري
حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شيت
وهي لغة بني عامر، واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع
كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها
ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة
كقوله عليه السلام المسلمون تتكافا دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم
يد على من سواهم، وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب
ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما لا ترى له، والناس معادن،
وما هلك امرو عرف قدره والمستشار موتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم،
ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم
يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة
احاسنكم اخلاقا الموطيون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله
كان يتكلم بما لا يعنيه، ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها، ونهيه عن قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال
ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات، وقوله اتق الله حيث
كنت واتبع السيية الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن، وخير الامور
اوسطها، وقوله احبب حبيبك هونا ما، عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعايه اللهم اني
اسالك رحمة تهدي بها قلبي، وتجمع بها امري وتلم بها شعثي، وتصلح
بها غايبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي
وترد علي بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء، اللهم اني اسالك
الفوز في القضا ونزل الشهدا وعيش السعدا والنصر على الاعدا،
الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه،
وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة
لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت
من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها

كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين •
والسعيد من وعظ بغيره في اخوات لها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها
ويذهب به الفكر في اداني حكمها • وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو
افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات في بني سعد فجمع له بذلك
صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ
الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالهي الذي مدده الوحي الذي
لا يحيط بعلمه بشري • وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق •
فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم **فصل** قال رضي الله عنه
واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشاه فما لا يحتاج الى اقامة دليل
عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم نخبة
بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم
نفرا من قبل ابيه وامه • ومن اهل مكة التي هي اكرم بلاد الله على الله
وعلى عباده **حدثنا** قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي حدثنا
القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد حدثنا
ابو محمد السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب
ابن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون
بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه • وعن
العباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من
خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا • وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل
بني كنانة • واصطفى من بني كنانة قريشا • واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم • قال الترمذي وهذا حديث صحيح •
وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم •

قال

قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم •
فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا
فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من
خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم • ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم
وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم
بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى
ادم القى ذلك النور في صلبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة
والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط •
ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه في مدح النبي
صلى الله عليه وسلم المشهور **فصل** واما ما تدعو ضرورة
الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة اضرب • ضرب الفضل في قلته
وضرب الفضل في كثرته • وضرب تختلف الاحوال فيه • فاما التمدح
والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل
والشرب دليل على النهم • والشره والحرص وغلبة الشهوة مسبب
لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء
الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب
للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على
الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة
العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته
والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل •
متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب
واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج
الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا
ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط
احدهما بالاخر **حدثنا** ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه

حدثنا ابو الفضل الاصفهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن
احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا معاوية
ابن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطنه
حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه •
وثلث لشرابه وثلث لنفسه • ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب
قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض
السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا • فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام
اليه ما كان على ضفف اي على كثرة الايدي وعن عايشة رضي الله عنها
لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله
لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه • ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل •
وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا الحديث بحديث بريرة وقوله
الم ار البرمة فيها لحم • اذ لعل سبب سواله ظنه صلى الله عليه وسلم
اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه
مع علمه انهم لا يستاثرون به عليه فصدق عليهم ظنه وبين لهم
ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية • وفي حكمة لقمان
لابنه اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة • وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع
وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكيا •
والاتكا هو التمكن والتقعد في الجلوس كالتربع • وشبهه من تمكن
الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة
يستدعي الاكل ويستكثر منه • والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان
جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا • وليس معنى الحديث في الاتكاء
الميل على شق عند المحققين وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم كان
قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال عليه السلام
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا
على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنى لهدو القلب وما يتعلق به
من الاعضاء الباطنة حينيذ لميلها الى الجانب الايسر ويستدعي ذلك

الاستثقال فيه والطول واذا نام النايم على الايمن تعلق القلب وقلق
فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق **فصل** والضرب الثاني ما يتفق
التمدح بكثرته والتفخر بوفوره كالنكاح والجاه فاما النكاح فمتفق فيه •
شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته
عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية • واما في الشرع فسنة
ماثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل هذه الامة اكثرها
نسا مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم •
تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيمة • ونهى عن التبتل
مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما بقوله صلى الله عليه
وسلم من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى
لم يره العلما مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبب
الى سيد المرسلين فكيف نزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد
الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكى في ذلك
عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شي وقد كره غير واحد ان يلقى الله
عز وجل عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضايل
وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله
عليه بالعجز عما يعده فضيلة وهذا عيسى تبتل من النسا ولو كان كما
قررته لنكح فاعلم ان ثنا الله على يحيى بانه حصورا ليس كما قال
بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلما وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق هذا بالانبيا
وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل
مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوات النسا فقد بان
لك بهذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها
موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى واما بكفاية من الله كيحيى فضيلة
زايدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق
من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة
عليا وهي درجة نبينا عليه السلام التي لم يشغله كثرتهن عن عبادة
ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه
لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان

كانت من حظوظ دنيا غيره قال حبب الي من دنياكم ثلاث فدل ان حبه لما
ذكر من النسا والطيب الذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس
لدنياه بل لاخرته لما ذكرناه من الفوايد التي ذكرناها في التزويج وللقا
الملايكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه
وكان حببه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي
مختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين
الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد
ساوي يحيي وعيسي في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة في القيام بهن وكان
النبي صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه
ولهذا ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس
انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسايه في الساعة من الليل والنهار
وهن احدي عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا
خرجه النساي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي عليه السلام
قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى
مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسايه التسع وتطهر من كل
واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطيب واطهر وقد قال
سليمان عليه السلام لا طوفن الليلة على مايه امراة او تسعة وتسعين
وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مايه رجل
وكان له ثلاث مايه امراة وثلاث مايه سرية وحكى النقاش
وغيره سبعمايه امراة وثلاث مايه سرية وقد كان لداود عليه
السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوجة
اوريا مايه وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على
الناس باربع السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش صلى الله
عليه وسلم قال واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه
عظمه في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها
في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبي الاخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم
العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة

في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويوذون
اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره
وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت
ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما راته ارعدت من
الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود ان
رجلا قام بين يديه فارعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
هون عليك فاني لست بملك الحديث واما عظيم قدره بالنبوة وشريف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفا والكرامة في الدنيا فامر
هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا
الفصل نظمنا هذا القسم **فصل** واما الضرب الثالث فهو ما
تختلف الحالات فيه في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله
ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله
به الى حاجاته وتمكين اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات
من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثنا
الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا
واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله
والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عادت كثرته كالعدم
وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه
في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته
عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه
في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير
ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو
فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال
الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له
فكانه ليس في يده منه شي والمنفق غني ملي بتحصيله فوايد المال
وان لم يبق في يده من المال شي فانظر سيرة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد

واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق وجلب اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لم يجب للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشي منه ولا امسك منه درهما بل صرفه في مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقي منها بقية فدفعها لبعض نسايه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكسا الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النسا والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يودي الى الشهرة في الطرفين فقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما تعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حايز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زايدة عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فاينها في مظانها **فصل** قال القاضي واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلا على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدايمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزا النبوة وهي المسماة حسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتها في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران يرضى

برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا برياضة الا بجودة الاهية وخصوصية ربانية وهكذا لساير الانبيا عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى عليه السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على قراة من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقد قال تعالى ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابدا خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القا ابراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلا اسحاق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والشمس والقمر كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الله الى يوسف وهو صبي عند ما هم اخوته بالقايه في الجب يقوله تعالى واوحينا

اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم وقد حكى
اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السما وقال في حديثه
صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم
اهم بشي مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد
ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في
قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفا الله تعالى لهم بالنبوة في
تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال
الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم
يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم
على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها
هل هذه الاخلاق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال كل الخلال قد يطبع عليها المؤمن الا الخيانة
والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجراة والجبن
غرايز يضعها الله حيث شا وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الشريفة الجميلة كثيرة ولكن نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلى الله عليه وسلم بها ان شا الله تعالى

فصل واما اصل
فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دايرتها فالعقل الذي منه ينبعث
العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراي وجودة الفطنة والاصابة
وصدق الظن والنظر في العواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة
وحسن السياسة والتدبير واقتنا الفضايل وتجنب الرذايل وقد
اشرنا الى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم
يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق

عند

عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمايله
وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم
الحكما وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام
وتقرير الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم
التي اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم قدوة واشاراته حجة كالعبارة
والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في موضعه
ان شا الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا
الجلوس الى علمايهم بل نبي امي لم يعرف بشي من ذلك حتى شرح الله صدره
وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة
وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد
القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب
عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى ساير ما علمه الله واطلعه
عليه من علم ما يكون وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال
الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
حارت العقول في تقدير فضله وخرست الالسن دون وصف يحيط
بذلك او ينتهي اليه

فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع
المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة
توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند
الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو
ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم
فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما نزلت عليه الاية سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى
اسال العالم ثم ذهب ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك وقال له واصبر
على ما اصابك وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال
وليعفوا وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور ولا خفا بما يوثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه
زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذا
الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد

الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر
بن واقد القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى
بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها •
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم
احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال اني
لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي •
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد
وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون • قال القاضي ابو الفضل رضي
الله عنه انظر الى ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله
عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا
لهم فقال اغفر واهد • ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال انهم لا يعلمون • ولما قال له ذلك الرجل
اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين
له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له ويحك فمن يعدل اذا لم
اعدل قد خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله
ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه
وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون فلم ينتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى
الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه •
فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس • ومن عظيم خبره في
العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على

الصحيح

الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي
اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته • وكذلك لم يواخذ عبد الله
ابن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا
بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه •
وعن انس رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت
حاشيته في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال
الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال
ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة
السيئة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على
بعير شعير وعلى الاخر تمر • قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن •
حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله
وما ضرب خادما ولا امراة وجيء اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت
ذلك لم تسلط علي وجاء زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا
عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له وقال انكم
يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول
والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء
وتامره بحسن التقاضي • ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر •
يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه
وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها
في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة
الجهل عليه الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف • والحديث
عن حلمه وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك
ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا •
مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته

الشدايد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء. وقال انس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الآية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله والشيخ ابو عمران والفقيه ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحاق البلخي قالوا حدثنا ابو عبد الله محمد الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول ما سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي فقال لا وعن انس وسهل مثله. وقال بن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان. وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة. وعن انس رضي الله عنه ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت خلقه صلى

الله

الله عليه وسلم قبل ان يبعث. وقد قال له ورقة انك لتحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف. واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها. وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شي قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال له رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي. وذكر عن معوذ بن عفراء انه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا وقال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا لغد. وعن ابي هريرة رضي الله عنه اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يساله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجا الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل. وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة وهو غاية الكرم والايثار على رايهم واصطلاحهم في الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي ويقول هو امتي امتي والخبر بجوده وكرمه اكثر صلى الله عليه وسلم

فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه **حدثنا** ابو علي الجياني فيما كتب به الي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحاق سمع البراء وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر • ثم قال
لقد رايته على بغلته البيضا وابو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب • انا بن عبد المطلب • قيل
فما رئي يومئذ احد كان اشد منه • وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه
وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ
بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان المسلمون الله صلى الله عليه
وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شي • وقال بن عمر رضي
الله عنهما ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى •
اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس •
يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس لقد فزع اهل
المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس
لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا • وقال
عمران بن الحصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب
ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا •
وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس
اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انا اقتلك ان شا الله تعالى فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعرا عن ظهر •
البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه

طعنة

طعنة تدادى بها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى •
قريش وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع
الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف
في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحيا والاغضا فالحيا رقة تعتري
وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله
والاغضا التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اشد الناس حيا واكثرهم عن العورات اغضا قال الله سبحانه وتعالى
ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم الاية • وحدثنا ابو محمد
ابن عتاب رحمه الله بقراتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسين القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبدان حدثنا عبد الله حدثنا شعبة
عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حيا من العذرا في خدرها
وكان اذا كره شيا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة
رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حيا وكرم نفس • وعن عايشة
رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون
كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيا وكان لا يواجه
احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم لهذا يغسل هذا ويروى ينزعها
قالت عايشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم •
فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية
ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وروي عنه
عليه السلام انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان
يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت
فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط **فصل** واما حسن
عشرته وادابه وبسط خلقه مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام •

كان اجود الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة
حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره قال
حدثنا ابو اسحاق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا
ابو داود حدثنا هشام بن مروان ومحمد بن المثنى حدثنا الوليد بن مسلم
حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن
اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب
اليه سعد حمارا وطا عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيس
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال لي اما ان تركب
واما ان تنصرف فانصرفت وفي حديث اخر اركب امامي فصاحب الدابة
بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا
خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا
وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وكان
يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف وما قال لشيء
صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها
ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان
يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره
ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة

ويقبل عذر المعتذر قال انس رضي الله عنه ما التقم احد اذن النبي صلى
الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ
احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي
جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة لم ير
قط مادا رجليه بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد يكرم من يدخل
عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه
بالجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة
لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام
ويروى بانتهاء او قيام ويروى انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي
الا خفف صلاته وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب
قال عبد الله بن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة ياتون النبي
صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى بانية
الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به
التبرك **فصل** واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق
فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف
رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم
من فضله عليه السلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال
بالمؤمنين رءوف رحيم وحكى نحوه ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه
ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراتي عليه حدثنا امام الحرمين
ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابراهيم بن سفيان قال حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو
طاهر حدثنا ابن وهب حدثنا يونس عن ابن شهاب قال غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة
قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد
اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه
لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه يساله شيئا فاعطاه

ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا
اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده
شيا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي
من ذلك شي فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب
ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم
انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة فشردت
عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا • فناداهم صاحبها خلوا
بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها
فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جات واستناخت وشد
عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال
فقتلتموه دخل النار • وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال
لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيا فاني احب ان اخرج وانا
سليم الصدر • ومن شفقته على امته تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته
اشيا مخافة ان تفرض عليهم كقوله عليه السلام لولا ان اشق على امتي •
لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وخبر كل صلاة الليل ونهيهم عن الوصال
وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه
ولعنه رحمة لهم وانه كان يسمع بكا الصبي فيتجوز في صلاته ومن
شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته
او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل فقال له ان الله قد
سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شيت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له مرني بما شيت ان شيت
ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج
الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا وروى ابن
المنكدر ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر الارض والسما
والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت

عايشة

عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار
ايسرهما وقال ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة
السامة علينا وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا فيه صعوبة •
فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه قال حدثنا
ابو بكر محمد بن محمد ثنا ابو اسحاق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن
الاعرابي ثنا ابو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان قال ثنا ابرهيم
ابن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله ابن شقيق عن ابيه عن
عبد الله بن ابي الحمسا بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث •
وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد
ثلاث فجيت فاذا هو في مكانه • فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا
منذ ثلاث انتظرك • وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اوتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة
لخديجة انها كانت تحب خديجة • وعن عايشة رضي الله عنها قالت
ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان
ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها واستاذنت عليه اختها فارتاح
اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت
قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه
بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل
منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان ال بني فلان ليسوا لي باوليا غير ان
لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى صلى الله عليه وسلم بامامة ابنة
ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن
ابي قتادة وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
فقال له اصحابه نحن نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني
احب ان اكافيهم ولما جي باخته من الرضاعة الشيما في سبايا هوازن
وتعرفت له بسط لها رداه فقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة
محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فاطلقها قال
ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة

حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قال هذه امه
التي ارضعته وعن عمر بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت
امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من
الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه
وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت
سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها
انها قالت له ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق **فصل**
واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان
يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل
عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم
القيمة • واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد
ابن العواد الفقيه بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع
وخمسماية قال حدثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر بن عبد البر قال
حدثنا ابن عبد المومن ثنا ابن ابي داسة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي
شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس
عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم متكيا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما
تقوم الاعاجم • يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقرا ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث
ما انتهى به المجلس جلس • وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه صلى
الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا •
عبد الله ورسوله وعن انس رضي الله عنه ان امراة كان في عقلها شي فجاته
فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شيت
اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم
اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضي الله عنه كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على
حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة
السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة
ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا ريا فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك ماية بدنة ولما فتحت
عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد •
يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله
صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين
الانبيا ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث
يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم
وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله تعالى •
وعن عايشة رضي الله عنها والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم
يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته
ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير •
ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق
وعن انس رضي الله عنه ان كانت الامة من اما اهل المدينة لتاخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها
ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك
فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي
هريرة رضي الله عنه قال دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم
فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب
الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله
الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل
فذهبت لاحمله فقال صاحب الشي احق بشيه ان يحمله **فصل**
واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته
فكان النبي صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس
واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه • وكان يسمى •
قبل النبوة الامين قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من •
الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين واكثر المفسرين انه

محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتجادلت عند بناء الكعبة فيمن يضع
الحجر احكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخلا وذلك
قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم
كان يتحاكم الى النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السما وامين في الارض •
حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة قال ثنا ابو علي السنجي • ثنا محمد بن محبوب
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ قال حدثنا ابو كريب قال حدثنا
معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن
علي رضي الله عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي
غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب • وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا
جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله انه لصادق وما
كذب محمد قط وسال هرقل عنه ابا سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل
ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم
غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم
في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث
علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال
في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
عنه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح
للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج
قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزا جزا لله تعالى وجزا لاهله وجزا لنفسه
ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة

ويقول

ويقول اللهم ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد •
وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم •
ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله
بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته
قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا
بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني
فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيا ثم عراني مرة اخرى
مثل ذلك ثم لم اهم بسوء بعد ذلك فصل واما وقاره
صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا
ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس
الدلائي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو
داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد
عن عمر بن عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي
صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه ولا يكاد يخرج شيا من
اطرافه وروي ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر
جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما
جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان صلى الله عليه وسلم كثير
السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل • وكان
ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم توقيرا له واقتدا به مجلسه مجلس حلم وحيا وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤوسهم الطير • وفي صفته يخطو تكفيا ويمشي هونا كانما ينحط
من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيه
انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن
مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم • وعن جابر

ابن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل
قال ابن ابي هالة كان سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وكان صلى
الله عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليها
ويقول حبب الي من دنياكم النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقا البراجم والرواجب
واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا فقد
تقدم من الاخبار اثنا هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى ان
توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو
يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا **حدثنا** سفيان
ابن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا
حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال واحدثنا ابو احمد
الجلودي قال حدثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا ابو
بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود
عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله • وفي رواية اخرى من
خبز شعير يومين متواليين ولو شا لاعطاه الله تعالى ما لا يخطر بال
وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر
حتى لقي الله • وقالت عايشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا • وفي حديث
عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت
عايشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيته شي ياكله ذو كبد الا شطر
شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت
لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع
اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك •
وفي حديث اخر ان جبريل نزل عليه فقال له ان الله يقريك السلام

ويقول

ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا تكون معك حيث ما كنت
فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال
له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت
وقالت عايشة رضي الله عنها ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا
ان هو الا التمر والما وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يشبع هو ولا اهل بيته من خبز الشعير • وعن عايشة رضي
الله عنها وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشا • وعن انس رضي الله عنه ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط •
وعن عايشة رضي الله عنها انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه
ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي
مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال
ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى
تؤثر في جنبه • وعن عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتلي جوف النبي
صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد قط صلى الله
عليه وسلم وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي
طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شا سال ربه كنوز الارض
وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي
على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا
بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من
الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في
معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شي هو احب الي من اللحوق باخواني
واخلاي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه
عليه **فصل** واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى
قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراة مني عليه •
قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسي قال حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا

ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله الفربري قال حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه قال كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في رواية عن ابي عيسى الترمذي رواه عن ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيها ملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله هـ لوددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقالت كنت لا تشا ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نايما الا رايته نايما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبريا والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله • وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال عمران والنسا والمايدة وعن عائشة رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة • وقال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى

الله عليه

الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي • والعقل اصل ديني • والحب اساسي • والشوق مركبي • وذكر الله انيسي • والثقة كنزي • والحزن رفيقي • والعلم سلاحي • والصبر ردائي • والرضى غنيمتي • والعجز فخري • والزهد حرفتي • واليقين قوتي • والصدق شفيعي • والطاعة حسبي • والجهاد خلقي • وقرة عيني في الصلاة • وفي حديث اخر وثمرة فوادي في ذكره • وغمي لاجل امتي • وشوقي الى ربي

فصل

اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبيا والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي في هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اجمعين • اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين • وقد قال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه السلام طولهم ستون ذراعا في السما • وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رايت موسى فاذا هو رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانه خرج من ديماس مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث اخر في صفة موسى كاحسن ما انت راي من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى ثروة اي كثرة ومنعة • وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا • وفي حديث هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب • هـ هـ وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا • وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى الى قوله من الصالحين • وقال ان الله اصطفى

ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين • وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى الى قوله من
الصالحين وقال قال اني عبد الله اتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيا •
وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال النبي صلى
الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شي الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم
اني لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل • وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب
كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح
والهدى والاجتبا والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم
وقال ستجدني ان شا الله من الصابرين • وقال تعالى في اسماعيل انه
كان صادق الوعد الايتين • وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم
العبد انه اواب • وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي
الايدي والابصار وفي داود انه كان اواب • ثم قال وشددنا ملكه
واتيناه الحكمة وفصل الخطاب • وقال تعالى في يوسف اجعلني على خزاين
الارض اني حفيظ عليم • وفي موسى ستجدني ان شا الله صابرا وقال
في شعيب ستجدني ان شا الله من الصالحين • وقال ما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا اتيناه
حكما وعلما • وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان
هو الحزن الدايم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم
الدالة على كمالهم • وجا من ذلك في الاثار كثير كقوله صلى الله عليه وسلم
انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق •
ابن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي • وفي حديث انس رضي الله عنه
وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان
مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السما تخشعا وتواضعا لله تعالى
وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحي اليه يا راس
يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على •
الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل
ليوسف ما لك تجوع وانت على خزاين الارض قال اخاف ان اشبع فانسى

الجايع • وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القران فكان يامر بدوابه
فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى
والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال ربه ان
يجعل رزقه من عمل يده فيغنيه عن بيت المال وقال عليه السلام احب الصلاة
الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف •
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس
الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السما حيا من ربه
ولم يزل باكيا حياته كلها • وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى
اتخذت الدموع في خده خدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف
سيرته فيستمع الثنا عليه فيزداد تواضعا • وقيل لعيسى عليه السلام •
لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على الله ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر
وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي
اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى لما ورد ماء مدين كانت ترى
خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال نبينا عليه السلام لقد كان
الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطا
اليكم وقال عيسى لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك قال اكره
ان اعود لساني النطق بسو • وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان
يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش
وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا
لله بما اكرمه من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في
الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمايل معروفة مشهورة فلا
نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين •
مما يخالف هذا **فصل** قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق •
الجميلة والفضايل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها
له صلى الله عليه وسلم • وجلينا من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع وبحر
علم خصايصه زاخر لا تكدره الدلا ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره
في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك على قل من كثر •

ونفيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي
هالة لجمعه من شمايله واوصافه كثيراً وادماجه جملة كافية من سيره وفضايله
ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي
الحسين بن محمد الحافظ بقراءتي عليه سنة ثمان وخمس مائة قال حدثنا الامام
ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه اخبركم الفقيه الاديب
ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن الخزاعي قال اخبرنا
ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الحافظ قال ثنا سفيان بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه
قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المومنين رضي الله
عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
قال سالت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي وقرات على الشيخ
ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خذاذاذ الكرجي الباقلاني قال
واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا
حدثنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
ابن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال حدثنا ابو محمد
الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي
قال حدثنا اسماعيل بن محمد بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي
عن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه
محمد بن علي عن علي بن الحسين قال الحسن بن علي واللفظ لهذا
السند سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ
القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر ان انفرقت عقيصته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة
اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ
من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه

ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب
مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر مسيح الصدر بعيد
ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك اشعر الذراعين
والمنكبين واعلى الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين
والقدمين سايل الاطراف او قال سائن الاطراف وسائر الاطراف
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا
زال زال تقلعاً ويخطو تكفياً ويمشي هوناً ذريع المشية اذا مشى
كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف
نظره الى الارض اكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق
اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست
له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول ولا تقصير دمثاً ليس بالجافي
ولا بالمهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيئا لم يكن يذم ذواقاً
ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء ولا يغضب لنفسه ولا
ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث
اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض
واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب
الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زماناً ثم حدثته فوجدته
قد سبقني اليه فسأله عما سألته فوجدته قد سال اباه عن مدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه
شيئا قال الحسين سالت ابي عليا عليه السلام عن دخول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذوناً له في ذلك
فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلاثة اجزا جزا لله تعالى وجزا
لاهله وجزا لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة
بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا وكان من سيرته في جزء الامة ايثار
اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة

ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والامة
من مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا
حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا
ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون
روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقها قلت
فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه
ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه
ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره
الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم
عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة فسألته عن مجلسه عما كان
يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى
القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه
حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم يرده الا بها
او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا
عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى
صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير
الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون
الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته
صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه
من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم

احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجوا ثوابه اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده
الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك
مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في
المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب
الثنا الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء
او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف
كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين
الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم
في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن
ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الراي بما اصلح امته
والقيام لهم بما جمع لهم من امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب
اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس
بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كان منسبط في تكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات
نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون
نيره وقيل ازهر اللون حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا
كما قال في الحديث ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع
البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب
اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل
الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن
والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين واسجر
العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق
الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحدد فيها كما يوجد في اسنان
الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متماسك معتدل الخلق يمسك بعضه

بعضاً مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي
اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومسيح
الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاقبال وهو احد معاني امسح
اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه
وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض
البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية
الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث
الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب والكتد مجتمع الكتفين
وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف
اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف او قال
سائل بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية
بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كنى به عن
سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع
الذي لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا
قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ
بقدميه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين
وبه قالوا سمي المسيح بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا
ايضاً يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل
الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو
اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية
المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط
من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح
بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله
فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة
اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر
بالعامة ويدخلون رواداً اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون
الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب
والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله

لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً وقد ورد نهيه صلى الله عليه
وسلم عن هذا مفسراً في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد
صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرون بسوء ولا تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم
تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير
الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل
الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم
له ولا يستفزه ولا يستخفه وفي حديث آخر في وصفه صلى الله عليه وسلم
منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها •

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم
قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم
لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله تعالى
واعلاهم درجة واقربهم زلفى • واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة
جداً وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها
في اثني عشر فصلاً **الفصل الاول** فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه
والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا
من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد
الله بن احمد العدل اذناً بلفظه قال ثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام
القاسم ابنة ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى هو ابن
اسماعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من
خيرهم قسماً فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين
وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً وذلك
قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من
السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها
قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوباً وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم
على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني من خيرها بيتاً فذلك
قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وعن ابي سلمة عن
ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين
الروح والجسد • وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل امحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله •

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق •

ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق •

بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق •

تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق •

وروي عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود • قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نايم اذ جي بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت

مفاتيح خزاين الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها • وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم لانبي له وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن رواية بن وهب انه عليه السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما • واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السما وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم اخبا لنبي غيرك • وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني ربي اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنايم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه السلام ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقا معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبيا ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا في اخر باب المعجزات • وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمومنين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار • وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وعدة

ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم • وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله
عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبيا صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على السما قال
ان الله قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد صلى الله
عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبيا قال ان
الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية • وقال لمحمد وما ارسلناك
الا كافة للناس الاية وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن
ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم
يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم • وبشرى عيسى ورات امي حين حملت
بي انه خرج منها نور اضا له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني
سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاني رجلان
عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوة
ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني
ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سودا فطرحاها ثم
غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول
احدهما شيا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا
ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتام •
وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان
سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم
ثم قال زنه بماية من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من
امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها
قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين •
عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت
عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك
وملايكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى •
الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان
ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيتي ويروى تقبل
توبتي فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت

انه

انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قايله تاويل قوله •
تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه الاية وفي رواية الاجري فقال
ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول
الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله
تعالى اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال
وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر ويروى عن سريج بن يونس انه قال
ان لله ملايكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى •
الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمرا قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما اسري بي الى السما اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد
رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف •
يطمين اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب
الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي لا اعذب من قالها •
وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين •
وذكر السمطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد
جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله •
وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من
اسمه محمد فليدخل الجنة كرامة لاسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن
وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد •
الا نما ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلاثة • وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها
قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قال خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسايي على نسايكم تفضيلا الحديث •

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسرا من المناجاة والرؤية وامامة الانبيا والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى

لعله قام

ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسرا وما انطوت عليه من درجات الرفعة
مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله
لقد راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسرا به عليه السلام
اذ هو نص القران وجات بتفصيله صلى الله عليه وسلم وشرح عجايبه وخواص نبينا
محمد عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى
زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر
بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا
ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة
ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبيا ثم دخلت المسجد
فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل بانا من خمر وانا من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السما فاستفتح جبريل فقيل
له من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السما الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة
عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير
ثم عرج بنا الى السما الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى
الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السما الرابعة فذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السما السابعة قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السما
الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السما السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السما السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب
بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال

قال

قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان
ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم
وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة
قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد
بلوت بني اسرايل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف على
امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان
امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل
ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل
يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيية فلم يعملها
لم تكتب شيا فان عملها كتبت سيية واحدة قال فنزلت حتى انتهيت
الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال
القاضي رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شا
ولم ياتي احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا
كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك له
وشق بطنه وغسله بما زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي •
وقد قال عن شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة
الاسرا ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت
قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد
بن سلمة ايضا مجي جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث
الاسرا كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسرا الى بيت المقدس
والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم
عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن
ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدري
ثم غسله من ما زمزم ثم جا بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السما فذكر القصة

وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير
وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس
اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسرا زيادة نذكر منها نكتا مفيدة
في غرضنا منها في حديث بن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح الا ادم وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق بن عباس
رضي الله عنه ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وعن انس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها
الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة
فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته
بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة
وقد رايتني في جماعة من الانبيا فحانت الصلاة فاممتهم فقال قايل يا محمد
هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي حديث
ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم
فصلى مع الملايكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال
هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قالوا نعم
قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا
فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا
صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على
ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا
وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شي وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة
وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع
عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا
فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السما الدنيا ومن سما الى سما نحو ما تقدم
وفي حديث بن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة
اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من
فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب
وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى

يخرج

يخرج من اصلها انهار من ما غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من
خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملايكة
قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال
انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت
داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا
عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل وجعلته يبري الاكمه
والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له
ربه قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك
الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز
لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا
واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك وجعلتك
فاتحا وخاتما واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيا من امته المقحمات وقال الله ما كذب
الفواد ما راى الايتين راى جبريل في صورته له ستماية جناح وفي حديث
شريك انه راى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق
ذلك بما لا يعلمه الا الله تعالى فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد
وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس
وذكر الميزان وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت
الى شجرة فيها مثل وكري الطاير فقعد في واحدة وقعدت في اخرى فنمت
حتى سدت الخافقين ولو شيت لمست السما وانا اقلب طرفي ونظرت
جبريل واذا جلس لاط فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السما
ونظرت النور الاعظم واذا دون الحجاب رفرفه الدر والياقوت ثم اوحى
الله الي ما شا ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما
اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاه جبريل بدابة يقال لها البراق

لعله خطبة

قد ذهب بي كيما استصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن
تعالى فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان
هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله
اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر • اشهد ان لا اله الا
الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا • وذكر مثل
هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على
الفلاح • وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ونوح
قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف
على اهل السموات والارض قال القاضي ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق
المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب
انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم
بما شاء كيف شاء ومتى شاء لقوله جل وعز انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله
في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب
به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب
ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك
الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة
المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم
واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا
ما من عظيم اياته او مبادي حقائق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى
واسال القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر •
فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره
عن رؤيته فان صح هذا القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه
في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله
اعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراؤه بروحه
او بجسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا

منام مع اتفاقهم على ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن
الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول انس وهو نائم
في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب
معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو
قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي
حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن
شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو
دليل قول عائشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من
المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح
واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة
والتمدح بتشريف محمد صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه
قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون
ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي
حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي والحق من هذا
والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه
تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى
التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة
اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى •
ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما
استبعده الكفار ولا   فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به
اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا انما خبره
انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء
ببيت المقدس في رواية انس او في السماء على ما روي غيره وذكر مجيء جبريل
له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد

ولقايه الانبيا فيهما وخبره معهم وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة ومراجعته
مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي
الى السما الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وانه وصل سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيهما ما ذكره قال ابن عباس
رويا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم لا رويا منام وعن الحسن فيه بينا
انا جالس في الحجر جاني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيا
فعدت لمضجعي وذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني
الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هاني ما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشا الاخرة
ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا الاخرة كما
رايت بهذا الوادي ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الان كما ترون وهذا بين لانه بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد
ابن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي في متقدم
المسجد ثم دخلت الصخرة واذا بملك قايم معه ملات وذكر الحديث
وهذه تصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر
عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري
ثم غسله بما زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس قال
اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح صدري وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي
فسالتني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي
انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث
الاسرا عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في ابطال حجج من قال انه نوم احتجوا بقوله تعالى
وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رويا وبقوله
سبحان الذي اسرى بعبده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس
يؤيد انها رويا عين واسرا بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب بها احد
لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار
متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها

في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير ذلك واما قولهم
انه سماها في الحديث مناما وقوله في حديث اخر بين النايم واليقظان وقوله
ايضا وهو نايم وقوله ثم استيقظ فلا حجة فيه اذ يحتمل ان اول وصول الملك
اليه كان وهو نايم او اول حمله والاسرا به وهو نايم وليس في الحديث انه كان
نايما في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام
فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم اخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله
ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من
ملكوت السموات وخامر باطنه من مشاهدة الملكوت الاعلى وما راى من ايات
ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه
ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورويا الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه
لئلا يشغله شي من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت
صلاته بالانبيا ولعله كانت له في هذا الاسرا حالات ووجه
رابع وهو ان يعبر بالنوم ها هنا عن هيئة النايم من الاضطجاع ويقويه
قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما قال مضطجع وفي
رواية هدبة عنه بينا انا نايم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله
في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت
هيئة النوم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر
شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي رواية شريك عن
انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان
في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث
والاسرا باجماع كان بعد البعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع
ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمع من النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله
عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول
عايشة رضي الله عنها ما فقد جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة
لانها لم تكن حينيذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت

بعد علي الخلاف في الاسرا حتى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام علي قول الزهري ومن وافقه بعد البعث بعام ونصف وكانت عايشة رضي الله عنها في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة وقيل بعد الهجرة بعام والاشبه انه لخمس قبل الهجرة والحجة لذلك تطول من عرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها ولم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه فيما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة ما فقد ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا في المدينة ولعل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صريح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفواد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انها رؤيا عين ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفواد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رويتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه

فصل

واما رويته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة رضي الله عنها حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراتي عليه حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة رضي الله عنها يا ام المومنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه قال انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رويته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه وروي عطا عنه انه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفواده مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يساله هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال

ان الله

٤١

ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا بالروية وحجته قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورويته بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهما فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي والربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل هل رايت ربك فقال رايته بفوادي ولم اره بعيني وروى مالك ابن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال اقول بحديث ابن حنبل بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برويته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولم يره وكذا اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن احمد ابن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطا في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للروية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري وجماعة من اصحابه انه راى ربه ببصره وعيني راسه وقال كل اية اوتيها نبي من الانبيا عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الروية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والحق الذي لا امترا فيه ان رويته تعالى في الدنيا جايزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سوال موسى لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسال الا جايزا

وحكاه ابو عمر

غير مستحيل لكونه وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله
فقال له تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رويتي ثم ضرب له مثلا مما هو
اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وهذا كله ليس فيه ما يحيل رويته في الدنيا
بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها
اذ كل موجود فرويته جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله
لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية واذ ليس يقتضي قول من
قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم على هذه الاية نفسها
على جواز الروية وعدم استحالتها على الجملة وقيل لا تدركه ابصار الكفار
وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقيل لا تدركه
الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الروية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك
لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا
انما هو تاويل وليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق
التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك
اي من سوالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي
ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا فانه من نظر الي مات وقد رايت
لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رويته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف
تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للافات والفنا فلم تكن
لهم قوة على الروية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة
باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الروية وقد رايت نحو هذا
لمالك بن انس قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني واذا كان
في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية راي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى
الله من شا من عباده واقدره على حمل اعبا الروية لم يمتنع في حقه وقد
تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة
الالهية منحاها لادراك ما ادركاه وروية ما راياه والله اعلم وقد
ذكر القاضي ابو بكر في اثنا اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه
السلام راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك
خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان

استقر

استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر
بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى له ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله
هذا يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه وبروية
الجبل له استدل من قال بروية محمد نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا
مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول انه راه
بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع
فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي
صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثل حديث ابي ذر في تفسير
الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث
ابي ذر الاخر محتمل مشكل فروي نور اني اراه وحكى بعض
شيوخنا انه روي نوراني اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا
وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الروية فان كان الصحيح رايت نورا
فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن روية الله
والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر
وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني
ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك
الذي في البصر في القلب او كيف شا لا اله غيره فان ورد حديث نص
بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع
قطعي يرده والله الموفق للصواب **فصل** واما ورد في
القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى
الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل
وجبريل الى محمد الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال
اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا كلم ربه في الاسرا وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن
عباس وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسرا عنه
عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدا روعك يا محمد ادن ادن

وفي حديث انس في الاسرا نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا فقالوا هي
ثلاثة اقسام من وراء حجابه كتكليم موسى وبارسال الملايكة كحال جميع الانبيا
واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم
صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه
في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي
في حديث الاسرا ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الله من
الايات وذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في ساير كلمات الاذان مثل ذلك ويجي
الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبههما وفي اول
فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد عليه السلام كاين حق مقطوع به نص ذلك
في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في
الحديث في السما السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم
فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع فيه صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق
هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شا بما شا ورفع بعضهم فوق
بعض درجات **فصل** واما ما ورد في حديث الاسرا وظاهر الاية
من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر
المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل او مختص باحدهما
من الاخر او من سدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى
الله عليه وسلم دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب
وقيل هما بمعنى واحد قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب
دنا من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من
عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شا ان يريه من قدرته
وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل
وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي
جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب
قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شا واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث
الاسرا وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين قال

وقال

وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين قال جعفر
ابن محمد والدنو من الله تعالى لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا
انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى
ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال
عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما
وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان
ولا قرب مدى بل كان كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو
النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى
مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سما
الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال واكمال وقبول واحسان قال
الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كل ما دنا بنفسه
من الحق تدلى بعدا يعني بعدا عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد
وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عايدا الى الله تعالى لا الى جبريل
على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضا
المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتاول فيه
ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي
اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول
فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة **حدثنا**
القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا
السنجي قال حدثنا ابن محبوب قال حدثنا الترمذي حدثنا الحسين
ابن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لوا الحمد بيدي
وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر • وفي رواية ابن زحر عن الربيع
بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم
اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لوا الحمد الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر

ويطوف الف خادم كانهم لولو مكنون وعن ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوايي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة وانا اول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها مع فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبيا اجرا يوم القيمة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبيا اخوة بنو علات امهاتهم شتى واما عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيها بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوايجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد عليه السلام جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرة دون دعوى وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فيقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سوا وماوه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لا يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يثعب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله

وقال

وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعا قال انس ايلة وصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة ابن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبرا وجندب وعايشة واسما بنت ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا عبد الله بن احمد ابو الهيثم قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله ابن محمد قال حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الله قال القاضي ابو الفضل

رحمه الله اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى
الله تعالى الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاصطفا
وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي في الله ويعادي في الله وخلة الله
نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع
ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع
اليه بهمة ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في
النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة
صفا المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم
اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين تعالى ذلك في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله
واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه
قال هذا والخلة هنا اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة
كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الاية ولا يصح ان تكون
عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما
بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عن من
دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه
تعالى لهما وخفي الطاف عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الالهية
ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفائه قلوبهما عمن سواه
حتى لم يحتملهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه
وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة
الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا
الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة
الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه
وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق

واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في
الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه
الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع
الى الله والاعراض عن غير الله وصفا القلب لله واخلاص الحركات لله كما
قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط
ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله •

قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا •
فاذا ما نطقت كنت حديثي • واذا ما سكت كنت الغليلا •

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم كما دلت
عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية
لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله
والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم وعدهم على
التولي عنهم بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام
ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول
جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر طرفا يهدي
الى ما بعده من ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل الى حبيبه به
من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته
في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي
مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الاية
والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدا هو
بالبشارة قبل السوال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له
يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب
قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه
على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل

يحمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا **فصل** في تفضيله
بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا
حدثنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني فيما كتب إلي بخطه حدثنا سراج
ابن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا أبو زيد وأبو أحمد قالا
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا إسماعيل بن أبان
حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون
يوم القيامة جثى كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع
لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام
المحمود فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس
يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي
فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث
الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود
الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام أنه قيامه عن يمين العرش
مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون ونحوه عن كعب
والحسن وفي رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام المحمود قيل وما هو
قال ذلك اليوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن أبي موسى
عنه عليه السلام خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها
للمذنبين الخاطئين وعن أبي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك
في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه
قلبه وعن أم حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى
أمتي من بعدي وسفك بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم
فسألت الله أن يوليني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل وقال حذيفة
يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة
عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك
ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب
البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس إذا دخل

أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من
النار فتقول زمرة أهل النار لزمرة أهل الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون
ربهم ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام
المحمود ونحوه عن ابن عباس أيضا ومجاهد أيضا وذكره علي بن الحسين عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد
يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج
الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين
وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وفي رواية أنس وأبي هريرة
وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله
الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
إلى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن أبي هريرة وتدنو
الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من
يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء
اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني
عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا
فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى
ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية
أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية أبي هريرة
وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم
فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض
اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا وذكر
مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه
كليم الله وفي رواية فإنه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا
قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس
نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول

لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي
فإذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر ساجدا
وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن إلا أن
يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه
شيئا لم يفتحه على أحد قبلي قال وفي رواية أبي هريرة فيقال يا محمد ارفع
رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي
فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة
وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا
الفصل وقال مكانه وفي رواية وقال ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع
رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي
فيقال انطلق من كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه
فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول
وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال
فيه من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر
في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه
فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك ولكن
وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله
إلا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة
فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود وعن أبي
بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له
وتأتي الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية أبي مالك عن
حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق والريح والطير
وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز
الناس وذكر آخرهم جوازا الصراط الحديث وفي رواية أبي هريرة فأكون
أول من يجيب وعن ابن عباس عنه عليه السلام ثم يوضع للأنبياء منابر
يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول
الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك فيقول يا رب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة

بشفاعتي

بشفاعتي فلا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى أن
خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة ومن
طريق زياد النميري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من
تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر
ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ
بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى
فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية أنس سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر
فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته عليه السلام ومقامه
المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق
بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب
فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما في
الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا
حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه
العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال
لا إله إلا الله وليس هذا لسواه عليه السلام وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي
دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة قال أهل
العلم معناه دعوة أعلموا أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم
لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن
حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤوا
يدعون بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح
عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته
فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية
أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية
أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة
فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد
أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي
بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن
وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله أحسن ما جازى نبيا عن أمته

وصلى الله عليه وسلم كثيرا **فصل** في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة
الرفيعة والكوثر والفضيلة **حدثنا** القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو علي الحسن بن
حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود
حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحياة وسعيد بن ابي ايوب
عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي
الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو فمن سال الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي وفي حديث اخر
عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ
قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده الى طينه فاستخرج مسكا وعن عائشة رضي الله عنها وعبد الله
بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض
من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه
امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر
الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير
الذي اعطاه الله وعن حذيفة بن اليمان فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني
الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيهن ما يصلحهن
وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي لهن من الازواج والخدم **فصل**
فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثار واجماع الامة كونه
اكرم البشر وافضل الانبيا فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي
حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول
حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما قال
ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي

هريرة قال يعني رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل
من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبيا وفي رواية
لا تخيروني على موسى وذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس
ابن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن
ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر
فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم **فاعلم** ان للعلما
في هذه الاحاديث تاويلات **احدها** ان نهيه عن التفضيل كان قبل
ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من
فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي
تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل **الوجه الثاني** انه قاله
صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من
الاعتراض **الوجه الثالث** ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص
بعضهم او الغض منهم لا سيما في جهة يونس بن متى عليه السلام اذ اخبر الله تعالى
عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من
رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن
نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك **الوجه الرابع** منع
التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبيا فيها على حد واحد اذ هي شي
واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل
بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم من الرسل
ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر
وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله
تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية وقال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم
هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال اما ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر
او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته
راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية

او ما سنا الله في الطافه وتخصيصه ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع
فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليها من اوهام
بسببها جرح في نبوته وقدح في اصطفائه وحط من مرتبته ووهن في
عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب
وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد
وان بلغ من الزكا والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى
الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه
عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان
شا الله تعالى فقد بان الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل في اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته ه

حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ قال حدثنا محمد بن وضاح **حدثنا**
يحيى ثنا مالك عن بن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا **محمد** وانا **احمد** وانا **الماحي**
الذي يمحو الله بي الكفر وانا **الحاشر** الذي يحشر الناس على قدمي وانا **العاقب**
وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ضمن اسمائه
ثناه وطوى اثنا ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من
صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل
من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لوا الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات هـ
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون
والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام
ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا
واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن •
اخر هو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي
اتى في الكتب وبشرت به الانبيا فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد
غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك
وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل

وجوده

وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من
العرب ابناءهم بذلك رجا ان يكون احدهم هو • والله اعلم حيث يجعل ه
رسالاته وهم محمد بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن
برا البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي
السلمي لا سابع لهم ويقال ان عمران اول من سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن
تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيه
احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له
عليه السلام ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من
الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور هـ
والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث
الذي محيت به سيات من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وروي
عقبي وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبيا وفي الصحيح وانا العاقب الذي
ليس بعده نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال
لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي على
سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي
قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله
لي خمسة اسما قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم
السالفة وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسما وذكر منها طه ويس
حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد
حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسما وذكر الخمسة
التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم
وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم
اروه واري ان صوابه قثم بالثا كما ذكرنا بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضا في كتب الانبيا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا
مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وقد روى النقاش عنه
عليه السلام لي في القران سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل
وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر

وعاقب وماحي وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه
اسما فيقول انا محمد وانا احمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى
نبي المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب
وقيل المتبع للنبيين واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال
الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم
وقد قال في وصف امته امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة
لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته
امة مرحومة ووصفها بالمرحمة وامرها عليه السلام بالتراحم واثنى عليه
فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا
من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى
ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى
حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم
وروى الحربي في حديثه انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني ملك فقال انت
قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه
السلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته في القران عدة
كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر
والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف
الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة
الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله
في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب
انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى
والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع
والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي
وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين
وحبيب الله وخليل الله وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود
وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة

والسلطان

والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان والهراوة والنعلين ومن اسمائه
في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البار
قليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ معناه طيب طيب وحمطايا
والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء
والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا
واسمه ايضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب
القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد
يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه
عليه السلام وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في
اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود
الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ
الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه صلى الله عليه وسلم
وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته
المشهورة ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل
فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم **فصل** في تشريف الله تعالى
له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو
الفضل رحمه الله ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه
في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر
للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند
الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم
اكرمك الله ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه
كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى
ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر
واسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم
وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى
السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار
الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا
منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها

وحققه بتمم النعمة بآياته ما لم تظهره لنا الآن ويفتح علقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وكذا اشار الى هذا حسان بقوله •

وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •

ومن اسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن اسمائه الحق المبين ومعنى الحق الموجود المتحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل اني انا النذير المبين • وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم • ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله تعالى انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسماعيل وتلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشأن وقيل المتكبر

وسمي النبي

وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال عن النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي عليه السلام وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح والخاتم هنا بمعنى الحاكم والفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبتدأ المقدم في الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه

تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشيا قبل وجودها والباقي بعد فنايها
وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام كنت اول الانبيا في الخلق
واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق
عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين
واخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمايه تعالى القوي وذو القوة المتين •
ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين •
قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمايه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في
الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمايه تعالى
الولي والمولى ومعناهما النصير وقد قال الله تعالى النبي اولى بالمومنين
وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمايه تعالى العفو ومعناه
الصفوح وقد وصفه الله تعالى بهذا نبيه في القران والتوراة وامره بالعفو
فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد ساله عن قوله •
خذ العفو قال ان تعفوا عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث
المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفوا ويصفح ومن اسمايه
تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعا قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط
مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر
يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول
قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وبمعنى الدلالة
ينطلق على غيره تعالى ومن اسمايه تعالى المومن المهيمن وقيل هما
بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله
الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله وقيل الموحد لنفسه وقيل المومن عباده
في الدنيا من ظلمه والمومنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين
مصغر منه فقلبت الهمزة ها وقد قيل ان قولهم في الدعا امين انه اسم من
اسما الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ
والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله تعالى امينا فقال

مطاع ثم امين وكان عليه الصلاة والسلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة
وبعدها وسماه العباس في شعره في قوله •

ثم اعتدى بيتك المهيمن من • خندف عليا تحتها النطق •

قيل المراد يا ايها المهيمن قاله العتبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى
يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى
المومن ومن اسمايه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من
سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح
القدس وورد في كتب الانبيا في اسمايه عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب
كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب
ويتنزه باتباعه كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون
مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمايه
تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال
تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى
نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال
ان الله يبشرك بيحيي وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا
لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمايه تعالى طه ويس •
وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسما محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم •
فصل قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها
هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل
ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه
التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريايه وملكوته وحسنى
اسمايه وعلي صفاته لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه
الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات
القديم بخلاف صفات المخلوق كما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك
صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض
وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمايه وكفى في هذا قوله •
ليس كمثله شي ولله در من قال من العلما العارفين المحققين التوحيد
اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة
الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه

الثبات ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات
القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة
وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو
القاسم القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا ليزيد بيانا فقال هذه الحكاية
تشتمل على جوامع مسايل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي
بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع
نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق
لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم
او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن
الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل
وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون
المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه
لها بلا مزاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله
بخلافه وهذا الكلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير لقوله ليس كمثله
شي والثاني تفسير لقوله لا يسال عما يفعل وهم يسالون والثالث تفسير لقوله
تعالى انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك
على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من
التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته والله الموفق للصواب **الباب**
الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات
قال القاضي حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا
ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزها حتى
لا يتوصل الطاعن وتذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من
ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته المجيبين لدعوته المصدقين
لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم ومنماة في اعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل
على عظيم قدره عند ربه واتينا فيها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره
مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة واذا
تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه
ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب

مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في
اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم
ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
جيت لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب
حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابي
محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي
ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي
عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا
نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل
له ومن يضلل الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال له اعد علي كلماتك هولا فلقد
بلغنا قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل
منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال
لنا هل معكم شيا تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا
من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري
من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل
مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجا رجل بتمر فقال انا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي
انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شي الا كان اول تارك له
وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد
انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار
هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل
على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة في ذلك شعر
لو لم تكن فيه ايات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد ان ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القران وما فيه من برهان ودلالة **فصل** اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمايه وصفاته وجميع تكليفاته ابتدا دون واسطة لو شا كما حكي عن سنته في بعض الانبيا وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجايز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه ويكون تلك الواسط اما من غير البشر كالملايكة مع الانبيا او من جنسهم كالانبيا مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحيل وجات الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم ووجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان العجز مع التحدي من النبي قايم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفي في مصنفات ايمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعني ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبيا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند لم يهمز من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه موتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جا الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلما هل النبي والرسول بمعني او بمعنيين فقيل هما سوا واصله من الانبا وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام مما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من رسول الى امة او نبي ليس

بمرسل

بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جا بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجما الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر ان الانبيا مايه الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاثمايه وثلاثة عشر اولهم ادم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذات النبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقي ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد الكاتب ووحي الحاجب واللحظ سرعة حركتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفا ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة **فصل** اعلم ان الله تعالى سمينا ما جات به الانبيا معجزة وبوات الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخر وكلام شجرة ونبع الما من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلايل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران لا يحصي عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي قد تحدي بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصل

فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم
قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجي النبي به وظهوره
من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود
محمد في الدنيا وانما جا اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه
من معجز معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ايمتنا ويجري هذا
المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه الصلاة والسلام ايات وخوارق
عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان
معانيها على يديه ولا يختلف مومن ولا كافر انه جرت على يديه عجايب وانما
خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان
ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة
لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف
لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا
وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم
الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر
رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار
كنبع الما من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا
في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل
وانا اقول صدعا بالحق ان هذه الايات الماثورة عنه عليه السلام معلومة
بالقطع اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل
عن ظاهر الا بدليل وجا برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا نوهن
عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي
الشك على قلوب ضعفا المومنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعرا سخفه
وكذلك قصة نبع الما وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير
عن الجما الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة
متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن
اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة
تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يوثر عن واحد من
الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما ذكر عنهم انهم راوه كما راه

فسكوت

فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل
والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه
منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشيا
رواها من السنن والسير وحروف القران وخطا بعضهم بعضا ووهمه
في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطع من معجزاته لما بيناه
وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور
الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما
يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام نبينا هذه
الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول
الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد
الملحد على اطفا نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا
وكذلك اخباره عن الغيوب وانباوه بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة
بالضرورة وهذا حق لا غطا عليه وقد قال به من ايمتنا القاضي والاستاذ
ابو بكر وغيرهما رحمهما الله وما عندي اوجب قول القايل ان هذه
القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها
وشغله بذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه
ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر
الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار
الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها
وهكذا يعلم الفقها من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه
ان مذهبه ايجاب قراة ام القران في الصلاة للمنفرد والامام واجزا
النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في
القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضو واشتراط الولي في النكاح
وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسايل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم
ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند
ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شا الله تعالى بعونه
وقوته **فصل في اعجاز القران** اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب

الله العزيز منطوعلي وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها
في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته
الخارقة عادات العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد
خصوا من البلاغة والحكم مالم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
مالم يوت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا
وخلقة وفيهم غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل
سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين
الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون
فياتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللال
فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن
ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا
ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة
البارعة والالفاظ الناصعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة
الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة
والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع
مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها
ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير
والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثير
وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت
اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول
وتضافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه
ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن
نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا
الباب مجالا واشهر في الخطابة والشعر رجالا واوسع في الغريب واللغة
مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا
بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملا اجمعين ام يقولون
افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان

كنتم

كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
الى قوله ولن تفعلوا وقل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران الاية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفتري اسهل
ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح
كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول
على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم غاية
التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت
نظامهم ويذم الهتهم واباهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في
كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم
بالتشغيب بالتكذيب والاغترا بالافترا وقولهم ان هذا الا سحر يوثر
وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية
كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعا
مع العجز بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا
فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفايهم كمسيلمة كشف عواره
لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز
منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين
واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن
المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية
قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع
بما تومر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرا فلما استياسوا
منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام
وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نايما في المسجد فاذا بقايم
على راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن
يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية من
كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال
الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه
الاية وحكي الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك

فقال اوَيَبلغ هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من
الايجاز منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه
عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم
ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها
عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله
تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية
وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها
من الاي بل اكثر القران حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل
لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين
من بعض ما استفيد منها وكثرة المقالات في المستنبطات عنها ثم هو
في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة
الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتامله من ربط الكلام بعضه
ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا
ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة
تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس
من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني

من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليها ووقفت مقاطع ايه وانتهت فواصل
كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة
شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله
في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى
الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران رق فجاءه ابو جهل
منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي

يقول

يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال
ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال
ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قالوا ما هو بشاعر
قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو
بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما
نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب
القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه
والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله
تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته
وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا
بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي
ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس
لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء
الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه
لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل
واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته
كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد
منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا
ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز
في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر
منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن
تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة
لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه
فاكثرهم يقول انه ما جمع في قوة جزالته وفصاحة الفاظه وحسن
نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر

انه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحيا الموتى وقلب العصا حية
وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم
عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة
الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجي بشر مثلهم بشي
ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا
بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا
من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه
الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم فالشغل بها اهون
عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن له قدرة
على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده
واستنفذ ما عنده في اخفا ظهوره واطفا نوره فما جلوا في ذلك خبيئة
من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا
فهذان نوعان من اعجازه

فصل الوجه الثالث

من الاعجاز ما انطوى
عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي
اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وقوله وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جا نصر الله والفتح الى اخرها
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس
في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم
يدخله الاسلام واستخلف المومنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم
اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها
وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى
في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا
كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء
شي من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه

والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم الاية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن
يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار
المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك الاية وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب وقوله من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله وقد قال مبتدئا فدر والله واعتقده
المومنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت
بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزئون
نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويوذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس
فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة

فصل الوجه الرابع

ما انبا به من انبا القرون السالفة والامم
البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم القصة الواحدة الا الفذ الذي قطع
عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به
على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد
علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسته ولا مثافنة
لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه
صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم منه ذكرا
كقصص الانبيا مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبا وبدء الخلق
وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه
العلما بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق
امن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من
النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه
عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سوالهم له عليه
السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم
عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم

اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم
ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم
التي نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه
بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده اياه
كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض
المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته
وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين. الى قوله
الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده
ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف
قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله يا اهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين

فصل هذه الوجوه الاربعة البينة في اعجازه

من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند
الله خالصة الآية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واظهر
دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا
فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها
رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم
ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه
احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته
قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من
يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن
اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد
عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله
فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب
عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم
ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية ادخل
في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي
تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم
حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القران صعب مستصعب على من كرهه وهو
الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا
وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا
هذا القران على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم
معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل
له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل
الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر
فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في
المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله
المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه
فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره
معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة
لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر
لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت
ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته
روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع
فيه فمر بصبي يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع فمحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان
يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا
فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال
فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة

فصل

ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه

فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه وساير معجزات الانبيا انقضت بانقضا اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران
العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمس مائة عام
وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة
والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وايمة البلاغة وفرسان
الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم
من اتى بشي يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على
مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل الماثور عن
كل من رام ذلك القاوه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل**
وقد عد جماعة من الايمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قاريه
لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب
له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن مبلغه يمل مع الترديد
ويعادي اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لحونا وطرقا يستجلبون
بتلك اللحون تنشيطهم على قراتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل
ليس بالهزل لا يشبع منه العلما ولا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة
هو الذي لم تنته الجن حين سمعته اذ قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد
ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه
وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد
من علما الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم
الشرايع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين
قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون
بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها
اول مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير
وانبا الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب
والشيم قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شي ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وقال

عليه السلام ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا
فيه نباكم وخبر ما كان قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم
به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به
هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم
بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفا النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن
ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبا الاولين والاخرين
وفي الحديث قال الله لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة
تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم
الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة
وقال تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه
وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات
ومنها جمعه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن
وصفه وايجازه وبلاغته واثنا هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة واحدة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز
المنثور لان النظم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى
على الافهام فالناس اليه اميل والاهوا اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه
لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر
وساير الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجما على مرور السنين عليهم
والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزايه
بعضا وحسن ايتلاف انواعها والتيام اقسامها وحسن التخلص من قصة
الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة
الواحدة الى امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة
وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوايد دون خلل
يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته

ولا يأتي بمثله إلا الله وقوله ويعده وتقلُّلُهُ الفاظه تأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبيا كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان تعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران وعجائبه التي لا تنقضي والله التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الاربعة عن عبد الله وقد

رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة

المغازي روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه
بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم
اشرفت قريش ينظرون وقد ولي النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل** في نبع الماء وتكثيره
من بين اصابعه ببركته صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى
حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر و
مسعود حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراتي عليه ثنا القاضي عيسى
ابن سهل ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى قال
ثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر
الناس ان يتوضؤوا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضؤوا من
عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر
قال كم كنتم قال زهاء ثلاثماية وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه
ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين
ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود
ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء
فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا
ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا
ماية الف لكفانا كنا خمسة عشرة ماية وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه
كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم
الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر
ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به
النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشي لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة

وفرق

وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى
رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من
الجفنة وهي ملا وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة
ما وقيل ما معنا يا رسول الله ما غير هذا فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها
وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع
الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع الى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهولاء قد رووا
هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا
به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له **فصل**
ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى
مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي
تبض بشي من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شي ثم غسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بما كثير
فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ها هنا قد ملي جنانا
وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة
ماية وبيرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا
وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير
هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج
سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ما فروي الناس حتى ضربوا بعطن
وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث
فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملاوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها
مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عمران بن حصين وذكر
الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل موتة عند ما بلغه قتل الامرا وذكر حديثا

طويلا فيه آيات ومعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في
غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاثمائة وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي
قتادة احفظ علي ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران
بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم
فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه
مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء
من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت
عزاليهما وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤوه قال عمران بن
حصين ويخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى
ملأ ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث
بطوله وعن سلمة بن الأكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء
رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة
أربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى
إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه
وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم
من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى
الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا
الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل** ومن معجزاته
تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ثنا
العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة
بن شبيب ثنا الحسن بن أعين ثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى
النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه
وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله
لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله
عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه
فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وحديث جابر في إطعامه صلى
الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم
بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد
بن ميناء وأيمن وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر
من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف
الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال
ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب
فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه
وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال
وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها
قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة
وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم
الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا
الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه وعن أبي هريرة أمرني
النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها
أثر الأصابع وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق
فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا
حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين
ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة
وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث
أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم
أحدا وسبعين رجلا وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن القوم
كانوا زهاء ثلاثمائة وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين وضعت
كان أكثر أم حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أن فاطمة
طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى

منها فامرها ففرغت منها الجميع نبايه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم وتجلى ثم
لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله ولعمر بن الخطاب
ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب
فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية
دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر
بعينه الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين
ابيه بعد موته وقد كان بذل الغرماء اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في
تمرها سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها
وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل
مثل ما كانوا يجدونه كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء
يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني
به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت
به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت
منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر الى ان قتل
عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا وسق
في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع
عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي
صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل
الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى
بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم فجعلت اعطيه
الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ
النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب
فشربت ثم قال اشرب وما زال يقول لها واشرب حتى قلت لا والذي
بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر للنبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان
عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبر عياله عظما عظما وان النبي صلى الله
عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة

فنثر

فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكره خبث الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة
امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل
الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر
بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم
ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصفة
والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى
الله عليه وسلم يده على الطعام ودعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى
شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت
واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث
هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من
لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث
عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر **فصل** في كلام الشجر وشهادته
له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابي عمرو الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي ثنا احمد بن
عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وقال صدوق عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال
الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة
وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن
بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك
يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في
ذلك فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد

لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فايذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له
وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقضي حاجته فلم ير شيا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطي الوادي فانطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال
انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قايده وذكر
انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التيما علي باذن
الله فالتيما وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى
لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما
على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا
وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه هل تري مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي
ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق
لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما
خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن
والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر امر ودتين
فانضمتا وفي رواية اشايتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة
وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رض
اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن
مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول ونحوه قال القاضي ابو الفضل
فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن

مالك

مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها
ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي
وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطايف ليلا وهو وسن فاعترضته
سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين
يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها
جبريل قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله
وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحاق
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام شكى الى
ربه من قومه وانهم يخوفونه وسال حاجة يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان
ايت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها ياتك ففعل فجا يخط الارض خطا حتى انتصب
بين يديه فحبسه ما شا الله ثم قال ارجع كما جيت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة
علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه
وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق
من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع
فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح **فصل**
في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم
ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس
وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد
الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار
وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكا الناس لما راوا
به وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكا لما

نفد من الذكور زاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي بعض
الروايات عن سهل فدفن تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان اذا صلى
عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارضة وعاد
رفاتا وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض
فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى
الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك
ويكمل لك خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء
الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال تغرسني
في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان
الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن
جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب
وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت
واسحاق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو
الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن
سهل عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن
بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة من ذكرنا
وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع
العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب **فصل** ومثل هذا
وقع في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب ثنا ابو القاسم ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا
ابو احمد الزبيري ثنا اسرايل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية عن ابن
مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه

وقال

وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما
سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في يد عمر وعثمان وقال علي كنا
بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه
عليه السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود
وعن عايشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر على حجر ولا مدر الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل النبي صلى الله عليه
وسلم عليه وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض
النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى
الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
ومثله عن ابي هريرة في حرا وزاد معه علي وطلحة والزبير وقال فانما عليك
نبي او صديق او شهيد والخبر في حرا ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من
اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن بن عوف وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي
حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين
طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري
فيعذبني الله فقال حرا الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار
انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان
حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده
اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم
الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن
مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب
لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخلله حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش
ما علمك قال انه لم يبق شجرة ولا حجر الا خر ساجدا ولا تسجد الا لنبي
وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه **فصل**
في الايات في ضروب الحيوان حدثنا سراج بن عبد الملك ثنا ابو الحسين الحافظ
ثنا ابي ثنا القاضي يونس ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا ثنا ابو العلا احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس
ابن عمرو ثنا مجاهد عن عايشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا
قالوا نبي الله قال واللات والعزى لا امنت بك او يومن هذا الضب وطرحه
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب
فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى
القيمة قال من تعبد قال الذي في السما عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر
سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب
العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي
ومن ذلك قصة كلام الذيب المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينا راع
يرعى غنما له عرض الذيب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذيب وقال
للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم
بكلام الانس قال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين
الحرتين يحدث الناس بانبا من قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث
فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذيب عن ابي هريرة وفي بعض
الطرق عن ابي هريرة فقال الذيب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت
نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة
واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب
فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها حتى
ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى

الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها
فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب
القصة والمحدث بها ومكلم الذيب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب
هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى
ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية
مع ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال
الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه
الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها
خلوفا وقد روي مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس
ابن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا طاير سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا
تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت
جالس فكان ذلك سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي
صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم
يرعاها لهم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بالغنم قال احصب
وجوهها فان الله سيودي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت
كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط
انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له
فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي
صلى الله عليه وسلم حايطا فجا بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن
ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعن عبد الله بن جعفر قال
وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السما
والارض شي الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد
الله بن ابي اوفي وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم
سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي انكم
اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم
وقد روي في قصة العضبا وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها

له بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها الملك
الحمد وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره في الاسفرايني وروى
ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة
وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين
فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى
الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط
قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع
لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايهن يبدأ وعن ام سلمة كان النبي صلى
الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت
صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت
فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه
الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه
انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن
الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى ان سفينة تكسرت
به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه السلام باذن شاة
لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي
ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده من
كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له ما اسمك قال اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم
الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى
في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله
عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء

ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع
املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال
لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله
فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه
وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه
رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان
القوم الذي بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور
من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة **فصل** في احياء الموتى وكلامهم
وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد هشام
ابن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد
الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو علي
الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد
ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان
عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى
الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات
بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم
يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله
ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من
رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه
اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها
تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني
مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث
الآخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالآن اوان قطعت ابهري
وحكى ابن اسحاق انه كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف
الروايات في ذلك عن ابي هريرة وجابر وانس وفي رواية ابن عباس انه عليه
الصلاة والسلام دفعها لاولياء بشر بن البرا فقتلوها وكذلك قد اختلف
في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وقد روي انه
قتله وروي الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط
يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال القاضي
ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الايمة
وهو حديث مشهور واختلف ايمة اهل النظر في هذا الباب فمن قايل
يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجرة وحروف
واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها
وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله واخرون
ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا
عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذا لم نجعل الحياة شرطا لوجود
الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما
اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد
كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالة وجود
الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه
النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال
ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام
وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحها وحنينه ولم
ينقل احد من اهل السير والرواية شيا من ذلك فدل على سقوط دعواه
مع انه لا اضطرار اليه في النظر والموفق الله وروى وكيع رفعه عن فهد
بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال
من انا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رايت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجبا جي بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وقال فيه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم
بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة

في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية
له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي
باذن الله تعالى فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد
اسلما فان احببت ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا
لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه
وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني
هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحمل علي هذه
المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي
عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس
ابن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول
محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم
فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر
ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنسا
يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي
الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق
وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله
وبركاته ثم عاد ميتا كما كان **فصل** في ابرا المرضى وذوي العاهات
اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره قال ثنا
ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام
عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة
وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم
به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقت يومئذ
واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى
قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة
ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه
ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي
عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف

لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه
اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري
اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده
حثوة من الارض فتفل فيها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد
هزي به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن
فديك ويقال فريك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيا فنفث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو
ابن ثمانين سنة ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه فبرا وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد ونفل
في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق
سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبريت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبريت وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق اذ انكسرت فبري مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن
ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه
ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ
ابن عفرا فجا يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها
فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب
يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه
فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امراة
من خثعم معها صبي به بلا لا يتكلم فاتى بما فمضمض فاه وغسل يديه ثم
اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل
عقول الناس وعن ابن عباس جات امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع
ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفات القدر على ذراع
محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبري لحينه وكانت
في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر
وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة
الحيا فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال

شيا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحيا ما لم تكن امراة بالمدينة اشد
حيا منها **فصل** في اجابة دعايه وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة
النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم
ضرورة وقد جا في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا
لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراتي
عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا حرمي
ثنا شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس
ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته ومن رواية
عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون
اليوم على نحو المائة ومن رواية وما اعلم احدا اصاب من رخا العيش
ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد
ولد ومثله دعاوه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت
حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من
تركته بالفوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن
اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على
نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته
وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شي فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص ان
يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر
او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر
واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسال عمر الدعا فدعا فجات سحابة
فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقا فسقوا ثم شكوا اليه المطر
فدعا فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره
فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض
الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية كان احسن الناس ثغرا اذا
سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا
ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان

القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح
فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة
ابن أبي الجعد فقال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال
البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة
أيضا وندت له ناقة فدعا فجاء بها إعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لأم أبي هريرة
فأسلمت ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي
الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته الله أن لا
يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم
نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى
طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذي النور ودعا على مضر
فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق
كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار
الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد وقال
لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم
يرفعها إلى فيه وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فأكله الأسد وقال لامراة اكلها الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود من دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته
وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم فقال لقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا
على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم
أي لا فرآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج إلى أن مات ودعا على محلم بن جثامة
فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا
عليه بالحجارة والصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد
فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم
على الرجل وقال اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية
برجلها أي رافعة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به **فصل** في كراماته
وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره صلى الله عليه وسلم
أخبرنا أحمد بن محمد ثنا أبو ذر الهروي إجازة حدثنا القاضي أبو علي سماعا
والقاضي أبو عبد الله بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا أبو الوليد
القاضي ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم ثنا الفربري ثنا

البخاري ثنا يزيد بن أبي زريع ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل
المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان
يقطف أو به قطاف وقال غيره بطيئا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا
وكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه
وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم
يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر ألفا وركب حمارا قطوفا لسعد
ابن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد
ابن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي
بكر أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه
أبي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا
نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان
ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة فقطعها ومات قبل الحول هـ
وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن
في المدينة أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال
بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب وأتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك
وأعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لأم
مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم
أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الأدم
وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها وكان
يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده
فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم
كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له
بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل
من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها
فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها
على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم
وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة

من سويق شربا اولها وشربت اخرها فما برحت احدثهما اذا جعت وريهما اذا عطشت
وبردها اذا ضحيت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة
مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك
عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق
فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها
دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد
به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى
العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل
فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة
شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته ه
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد
ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوا فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن
سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب
وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك
وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو
وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس
قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى
الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخر
فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان
ينظر في وجهه كما ينظر في المراة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم
وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها
فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه
زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها
ومسح على راس صبي به عاهة فبرا واستوى شعره وعلى غير واحد من هذ
الصبيان المرضى والمجانين فبروا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها

بماء من عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس والمجنون ومج في دلو من بئر ثم
صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين فرمى بها
في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم
وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم
امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب
صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار
من افرس العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو
صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك
قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل
الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا
الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراته على غيره قال ابو بكر ثنا ابو
علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابي شيبة
ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه
من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه
فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة
ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد
سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل
الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور
على اعدائهم وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن
حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح
خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها
وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى

وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى وتسترون بيوتكم كما تستر الكعبة ثم قال
احق الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات
فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك
والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب
قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب
الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج
وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق
والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه
وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك
وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني
الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم
اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية
ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم
امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك
بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج
ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما
ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه
من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه
النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينتسب اليه من الروافض
كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرا المصحف وان عسى ان يلبسه قميصا
وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن
لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض
ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت فنبحت على
عائشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله
اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من
الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه
وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا
في النار فكان بعضهم يسال عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرف

فاستصلى

فاستصلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني
رايت الملائكة تغسله فسالوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل
قال ابو سعيد ووجدنا راسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال
هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير
فراوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا
به وانذر بالردة وان الخلافة بعده ثلاثون ثم يكون ملكا فكانت كذلك بمدة
الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة
ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر بشان
اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امتي ثلاثون
كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون كذابا دجالا احدهم
الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم
ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي
بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك
امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت لسميتهم
لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب اخر
هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم
يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج
وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤوس
الناس والعراة الحفاة يتباهون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا
والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون
بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك
على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت
ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا
ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال
ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة
واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة
وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب

الى اهل مكة ويعضيه عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه
وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل
بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف
وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال
وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك
تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون واخبر بقتل اهل موتة يوم قتلوا
وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز
اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما تحقق فيروز القصة
اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا
اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه
به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين
بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان
يسبقه منه عضو الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه
على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا البست سواري كسرى فلما
اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن
الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له
الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى
تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما
يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه
وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه
لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته
كما قال عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع
عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان
بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة
البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط
ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد

على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على
بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال
ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من
عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها
فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت
مقدماته كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة
وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر
النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب
هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه
نكت من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه قال الله تعالى
والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال
اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال
انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضي
الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري
قالا ثنا ابو الحسين الصيرفي قال ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي
ثنا ابو العباس المروزي ثنا ابو عيسى الترمذي الحافظ ثنا عبد بن حميد
ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن
شقيق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه
الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة
فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط
سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد روي هذه
القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى
الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه
لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها
في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم

فلما رجع الى قومه الذين اعترضه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد
امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري
وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان
غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به
الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من
وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر
وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله
عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت
هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت
حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت
يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما
وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم
فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا
مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا الى ليلة
اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن
عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من
باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش
واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب
الله على ابصارهم وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم
في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية
ابن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى
انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه

احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد
جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب
منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت
وابو بكر يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا
فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة
وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك
احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ها هنا وقيل بل قال لهما اراكما
دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ◦
وفي خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة
ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه
وجاءه فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى ◦
الى خلفه ثم ساله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش
بذلك وحلف لئن راه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لي دونه
فحل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى
النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه
وسلم ورجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين
نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان الايتين ◦ ومن ذلك ما ذكره
ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض
اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله
عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي
انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتل عمرو بن امية
فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة

وذكر اهل التفسير الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا يصلي
ليطان رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملو
نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملئت الارض فقال
عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل الله على النبي صلى
الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان
الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري
من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما
دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي
صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي
فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب
بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن
فضالة بن عمرو قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك
قلت لا شي فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله
ما رفعها حتى ما خلق الله شيا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن
الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر
قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيا فلما كلمه
في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك
ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش
واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره
ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم •

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على مصالح الدنيا والدين ومعرفته من امور شرايع دينه
وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص
الانبيا والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ
شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات
اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم

واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتوا
على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة
بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين
للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال
شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شي مستحسن مفضل
لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر
من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبايث وصان به
انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار
اجلا الى الاحتوا على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرايض
والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه
السلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرويا لاول عابر وهي
على رجل طاير وقوله الرويا ثلاث رويا حق ورويا يحدث بها الرجل نفسه
ورويا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رويا المومن
تكذب وقوله اصل كل دا البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة من
قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا
لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم
به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع
عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملا
ابن ادم وعا شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سيل عن سبا ارجل هو ام امراة او ارض
فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشام اربعة الحديث بطوله وكذا
جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب
الى سواله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها ومذحج
هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها
وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقوله
في الحوض زواياه سوا وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك ماية
وخمسون على اللسان والف وخمسماية في الميزان وقوله وهو بموضع نعم

موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة أو للأقرع أنا
أفرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للممل هذا مع أنه
صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته
حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان
من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية أنه كان
يكتب بين يديه عليه السلام فقال له ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق
السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وإن لم تصح
الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة
والقراءة وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغة العرب وحفظه معاني أشعارها
فأمر مشهور وقد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات
الأمم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج
وهو القتل بها وقوله في حديث أبي هريرة أشكنب درد أي وجع البطن
بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا
من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو كما قال
أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم
علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف
العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد
التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة
من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه
ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين و
إنما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا
لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه
إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير
من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ
على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد
والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن
فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام

الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونه مدا عمارهم
فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف
واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب
طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج
به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي
صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب
فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة
أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه
مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه
ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم
واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان
مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا
لكل أمر **فصل** ومن خصائصه عليه السلام وكراماته وباهر آياته
أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن ورؤيته
كثير قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وقال
إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال إذ
تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين وقال وإذ صرفنا إليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه
بسماعي عليه ثنا أبو الليث السمرقندي قال ثنا عبد الغافر الفارسي أبو أحمد
الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا أبي ثنا شعبة
حدثنا عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى
من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر
في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهده من
كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة
من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل في صورة رجل يسأله
عن الإسلام والإيمان ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في
صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة
خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب

ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض
ما يقوم لها شي وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي صلى
الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود
الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن
مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب
فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال
بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت فقال أنا
هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث
طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل
خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة
فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال
عليه السلام إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه
فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه
كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد
الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع

فصل

ومن دلائل
نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار
وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم
الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من أشعار الموحدين المتقدمين من
شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن
ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من أمره زيد
ابن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل
مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات ممن أسلم منهم مثل ابن سلام
وابني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء
يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وضغاطر وأسقف الشام وصاحب بصرى
والجارود وسلمان والنجاشي وتميم الداري ونصارى الحبشة وأساقفة
نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل

وصاحب

وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ
صاحبه وابن صوريا وابن أخطب وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا
وغيرهم من علماء يهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار
في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر في كتبهم من
صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم
بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم المباهلة على
الكاذب فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره
ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال
وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم
صادقين إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد
ابن قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة
الدوسي وسعدى بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر
على ألسنة الأصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان
ومن ذبائح النصب وأجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره
مشهور وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل

ومن
ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب
وكونه رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء وما رأته من النور
الذي خرج معه عند ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص
من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور وقول
الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل
سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
إلى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها
له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى
من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض
بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان إذا أكل
مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته
لم يشبعوا ولم يرووا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى
الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد

الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور
الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند
بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى
الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري
ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة
ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى
ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رأت غمامة تظله وهو
عندها وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره
قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت
وتدلت اغصانها عليه بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر
حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان
الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى
اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره بالمدينة وفي بيته وان
بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته
وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة
على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن
على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ان لا ينزعوا القميص عنه عند غسله وما
روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه
من كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد
بذريته **فصل** قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا
الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد
منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث
الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على
ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد
في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا
جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا اظهر من سائر معجزات الرسل
بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله
عليه وسلم مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتأمل
فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله

تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند
ائمة بعض المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب
بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة
منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى
فأتوا بسورة مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق
يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين
الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر
كلمات فيجزأ القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف
جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق
بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف
العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد
يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر
منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر
التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته
ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه
السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا من هذا
الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت
بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن
موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم
وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون
عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون
معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ثم ان الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر
والخبر والكهانة فانزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة
والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب
العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان
منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى

العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم
الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانبا الانبيا والامم
البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه
التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه
الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة
بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه
الى ما اخبر به من الغيوب على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر
فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان
وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة
الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر
معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل
ولهذا اشار عليه السلام بقوله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم
قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث
عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
الانبيا نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجوا اني اكثرهم تابعا يوم القيمة وهذا
معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا الله وذهب غير
واحد من العلما في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام
الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل
عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشيا
طمعوا في التخييل بها على الضعفا كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه
هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر
في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات
كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه
والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الجفن
عليه ويغضى وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة
كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من

ان

ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد
لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما
جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم
ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس
والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية
للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شي هو من
جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال
وهذا عندنا ابلغ من خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب
العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص
صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح
النظر واما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا
بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع
الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي ايتي ان يمنع الله تعالى القيام عن الناس
مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام
لكان ذلك من ابهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض
العلما وجه ظهور اية على سائر ايات الانبيا حتى احتاج للعذر عن ذلك
بدقة افهام العرب وذكا البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه
بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل
وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل
بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم فجاءهم من الايات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم
ما لا يشكون فيه ومع هذا قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير
والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام
الى الله تعالى زلفى ومنهم من امن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه
وسلم بدليل عقله وصفا لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته
وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم
ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا

اباهم واباهم في نصرته وابي في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه ان برج
لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله التوفيق

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب
على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته
ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والسلام وزيارة قبره
صلى الله عليه وسلم

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب
الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور
الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية فالايمان بالنبي محمد صلى الله
عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال
الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا
ابو محمد الخشني الفقيه بقراتي عليه ثنا الامام ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام
ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا
ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة
الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك
شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية
عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر
اركان الاسلام ثم ساله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد تقرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر

الى النطق

الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة
باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم
ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين
احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر
سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول
والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من
الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه
ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط فيه بعضهم
من تمام الايمان القول والشهادة ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة
لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان
فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره
وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ثم يطول
مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره
ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة
الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده
شهادة اللسان اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة
مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا
نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة
فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة
وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين
حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة
وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه
غنية فيما قصدناه ان شاء الله

فصل واما وجوب طاعته فاذا

وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله
والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا
وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن
طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء
العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والايمة
طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله
من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته
يطع الله في فرايضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال
وما اتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرايضه
والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال
اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالرسالة حدثنا
ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن محمد
ابن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان ا‍ه
انا عبد الله انا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه
سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد
اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن
عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته
فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا
طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه واذا
امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام كل امتي
يدخلون الجنة الا من ابى قالوا يا رسول الله ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل
ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني وانا
النذير العريان فالنجا فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبت طايفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم

فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من
الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث
داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم
يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا
فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس **فصل**
واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتدا بهديه فقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله
تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر
الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتدا به والاتباع
لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه
وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين
انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتدا
باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى
ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوايهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة
ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي
عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابنا الله واحباوه ونحن اشد حبا لله فانزل الله
الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه
بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب
من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القايل •
تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع •
لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع •
ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته

ع

لرؤا ارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنايه عليه قال القشيري فاذا
كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد
في ذكر محبة العبد عين هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحاق ابراهيم
ابن جعفر الفقيه قال ثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقرايي عليه قالا ثنا حاتم بن محمد قال ثنا ابو حفص
الجهني ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد
ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن
ابن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في
موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة
في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكيا
على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القران صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه
جامع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت
امتي بان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي
فقد رضي بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير
الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة
قايمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل
في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة
بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر ماية شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرايل افترقوا

على اثنين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال
عليه السلام من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن
عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من
سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من
اجورهم شيا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل
اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيا **فصل** واما ما ورد عن
السلف والايمة من اتباع سنته والاقتدا بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران
موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد
ابن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى
ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر
فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد
صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيا فانما نفعل
كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستعمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي
من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع
غير سبيل المومنين ولاه ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال
الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب
بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن
الخطاب بتعلم السنة والفرايض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم
يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره
حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان تري اني انهى الناس عنه
وتفعله قال لم ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس
وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير
من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة
كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد

على السبيل والسنة ذكر الله فعاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله ابدا وما
على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه واقشعر جلده من خشية
الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة
فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان
اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان
يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبيا وسنتهم وكتب
بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم
بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم
بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء
في قوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة
رسول الله وقال الشافعي رحمه الله ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود والله انك حجر لا تضر
ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم
قبله وروي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسيل فقال لا ادري الا
اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري
من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه
نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتدا بالنبي صلى
الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع
الاعمال وجاء في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه انه الاقتدا برسول الله صلى
الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا
الما فاستعملت الحديث من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر
ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قايلا يقول لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك
باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل • •

فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه
بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى الاية • حدثنا ابو محمد
عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقرايتي عليهما قالا انا ابو القسم
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد

ابن ابي سليمان ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر
الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال
فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا
فسحقا وروي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني
وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من
امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم
الله وقال عليه السلام وجي بكتاب في كتف كفى به حمقا قوم او قال ضلالا
ان يرغبوا عما جابه نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه السلام هلك المتنطعون
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيا كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيا من امره ان ازيغ

الباب الثاني في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان اباوكم
وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا
حضا وتنبيها ودلالة وحجة على التزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها
واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب
اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم
فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي
الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال ثنا سراج بن
عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن عبد
العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يومن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه
وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود
في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب انه قال للنبي صلى
الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شي الا من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه قال عمر والذي انزل
عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى
نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث **فصل**
في ثواب محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا ابو القسم حاتم بن محمد
ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد
ابن اسمعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد
عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول
الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة
ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة
هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك
ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب
وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى
وانس وعن ابي ذر بمعناه . وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم •
اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي
في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر •
اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي وامي التمتع من النظر اليك فاذا
كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس من
احبني كان معي في الجنة **فصل** فيما روي عن السلف والايمة من
محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد ثنا
العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب
ابن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو راني باهله

وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص
ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت
خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار
يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب
قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه
وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه
يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه
عن عمر بن الخطاب قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان
ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحاق ان امراة
من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا
هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل
مصيبة بعدك جلل وسيل علي بن ابي طالب كيف كان حبكم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا
واباينا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما وعن زيد بن اسلم خرج
عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول
على محمد صلاة الابرار • صلى عليه الطيبون الاخيار • قد كنت قواما
بكا بالاسحار • يا ليت شعري والمنايا اطوار • هل تجمعني وحبيبي الدار •
تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول • وروي
ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل
عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امراته واحرباه
فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه • وروي ان امراة قالت
لعايشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى
ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان
ابن حرب انشدك الله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب •
عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي
هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس

أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس قال كانت
المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم أحلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا
رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن
الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله
ورسوله **فصل** في علامة محبته عليه السلام اعلم أن من أحب شيئا آثره
وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي
صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال
سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب
بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى
نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان
من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله
حدثنا القاضي أبو علي الحافظ ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
قالا ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى
ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد
عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل
ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني
كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله
ومن خالفها في بعض الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله
قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره ومنها
كثرة شوقه إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين
عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه
وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد
ابن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار
الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال إسحاق التجيبي كان أصحاب رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا
وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله
تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه
من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض
من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحبه وقد قال عليه السلام في الحسن
والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه وقال
من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني
ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا
فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال في فاطمة
إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها وقال لعائشة في أسامة بن زيد
أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم
وفي حديث ابن عمر من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم
فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى
في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب الدباء من يومئذ وهذا الحسن
ابن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم
طعاما مما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال
السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك
ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف
سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته قال الله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء
أصحابه عليه السلام قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه
ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به
وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة
حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه
وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة

حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زادا
وبلغة إلى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإذا كان يحب
القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين
رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه
به وقد قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع
من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول
قال والله إني أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر
نحو حديث أبي سعيد بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه
وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه
وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها
اختلاف أحوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت إلى
قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول
اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب وقال آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب
وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال
آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات
المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته
له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة
والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه
بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل
المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل
إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب لقوم والتشيع من أمة في
آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس أو يكون
حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه إليه وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب
من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه عليه السلام
فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال الصورة
والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا

يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله
تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم
بهم من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا
إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم إلى صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه
إلى جميع المؤمنين وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة
المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح
والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم
والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك أنه عليه السلام
مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة
بما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب
من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة
التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم أولى بالحب وإذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم
لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته
فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل وقد
قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه
معرفة أحبه وذكرنا عن بعض الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى
الله عليه وسلم **فصل** في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال أهل التفسير إذا نصحوا لله
ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا القاضي الفقيه
أبو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد
المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا أبو داود ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل
ابن أبي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم
قال أئمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة
قال الإمام أبو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير

المنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص
من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف
النصح فعل الشي الذي به الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي
يخاط به الثوب وقال ابو اسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد
له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه
والبعد عن مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به
والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه
فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق
بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر
وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحيا سنته بالطلب والذب
عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم
اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله
واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد
النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي
نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر
والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال
دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون
الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال
وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل
بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير
منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكرناه تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامات من علاماتها
كما قدمناه • وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد
ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل
الله بك قال غفر لي فقيل له بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين
فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه

وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب
الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم
ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير
جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث

في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله
تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الايات
الثلاث وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعزيره
وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد
تعزروه تبالغون في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه
وتوقروه تعظموه ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد
الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم
والتعجيل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشي في ذلك من قتال او غيره
من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد
والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا
الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه في التقدم وقال السلمي
اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم
نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض
ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي
لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض •
ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي
الله وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله
تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني
تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية
الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب
النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت
هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ
جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا •
وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه
الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها ابدا الا كاخي السرار وان عمر كان
اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله بعد هذه الاية حتى
يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان
ابن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري
ايا محمد ايا محمد فقلنا اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت
في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان
معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته
لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى
الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا
للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي
ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا ثنا احمد بن
عمر ثنا احمد بن الحسن ثنا احمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم ثنا
محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا ثنا الضحاك بن مخلد
انا حيوة بن شريح ثنا يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا
عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا
عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا عيني
منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على
اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد

منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان اليه
ويبتسم اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته عليه السلام اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته
قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه
له ما راى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم
ولا تسقط شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا
تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى
قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي
في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية
ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه
ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت
قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم
في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي
جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه
اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي
حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد
كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخر سنتين
من هيبته

فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة اله وعترته
وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته وياخذ
في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا

الله قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين
رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري
وابو القسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا ابو العباس
ابن احمد بن دلهاث ثنا ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج
ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب قال ثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل
ثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد
فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية
وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة
وادعوا ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيمة
بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاوك الاية وقال مالك وقد سيل عن ايوب السختياني ما حدثتكم
عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه فلا اسمع منه
غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكا حتى ارحمه فلما رايت منه
ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد
الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب
ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم
علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القرا لا نكاد نسئله
عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير
الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته
يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه
زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا
القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلما والعباد الذين يخشون الله عز وجل
ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه
كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم

يبكي حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتي
صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان اذا
سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت
مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سوا وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر
عنده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي
اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب
له عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا
ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو بكر بن البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني
ثنا علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما
سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى
على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت
العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شا الله او فوق ذا او ما دون ذا
او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني
لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا قايم وقال مالك جا رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث
وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت
ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن
محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك
ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا

حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال
مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ
تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم
ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع
ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان
اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا
قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة كانوا
يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا اراد
ان يحدث على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرا
حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله بن المبارك كنت
عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه
ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس
وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا قال
نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي
مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني وقال لي
كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشي وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر
بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن
الغازي سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني
حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما
طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرا احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث
وهو على غير وضوء تيمم **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه وسلم

وبره

او فعله كما قال تعالى كانه رءوس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما
هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا فالجواب عنه اذ لم تثبت له
في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي
انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل
القران وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في
قوله انساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه
احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه
السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسليط على يوسف
عليه السلام ويوشع بوسواس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر
وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد
به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما
يهدا الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان
على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل
عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن
اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **فصل**
واما قوله عليه السلام فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه
واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء
منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا اما تعمد الخلف
في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق عبدي فيما
قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط
في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق الاسفراييني ومن قال
بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي
لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه
لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن ذكر
غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما
اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى

والتخبط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله
أكتب كلما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول
في ذلك كله إلا حقا ولنرد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول إذا
قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله إلا صدقا
وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكر عني وهو يقول إني رسول
الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم وأبين ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى
إن هو إلا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على
أي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط
الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير
خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا وإجماعا
كما قاله أبو إسحاق **فصل** وقد توجهت هاهنا لبعض الطاعنين
سؤالات منها ما روي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة
والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال
تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية
إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة
العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان
ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لو نزل عليه شيء
يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم
عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما
بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فأنزل الله تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية فاعلم أكرمك الله أن لنا في
الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله
والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه
أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع
به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف
كل سقيم وصحيح وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي

الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته
واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول إنه
في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر
يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر
يقول إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها
على جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي
صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله
ما هكذا نزلت إلى غير ذلك من اختلاف الروايات ومن حكيت هذه
الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد ولا رفعها إلى صاحب
وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن
أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فيما أحسب الشك في الحديث أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزار هذا الحديث
لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا
ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير
وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك أبو بكر رحمه
الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه
عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه وأما
حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار
إليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن هذا توهينه من طريق
النقل فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته
صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل
عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان
ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله
عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليه السلام وذلك
كله ممتنع في حقه عليه السلام أو يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك
كفر أو سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والإجماع
عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه ولسانه لا عمدا ولا سهوا وأن
يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل

او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام
لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل
التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين
وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف
بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث
انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله
عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد
في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم
الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء
ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية
لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت
فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على
بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس
او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء
المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان
كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان تردان الخبر الذي رووه لان الله
عز وجل ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن
اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى
لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت
على الله وقلت ما لم تقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح
فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك
من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القران كاد فهو ما لا يكون قال الله

تعالى

تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل
قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان
يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل
قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية
تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله ترد سفسافها
فلم يبق في الاية الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته مما كاده به
الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى
الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية واما الماخذ الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد
اجاب عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة
ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه السورة
فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي
مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان
عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو
وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال
وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان
يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التاويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين
ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد
وانه ليس من المتلو وهذا احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا
بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي
يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي
تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول رسول الله صلى الله

لها

عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزل الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها على ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي به من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة

وبلغ

وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الاية ومن ذلك ما روي في قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا الاية وروي في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح يقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم ترد عن احد من المسلمين

ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها
في حديث انس وظاهر حكاية حاله فليس فيه ما يدل انه شاهد ولعله حكى
ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه فلم يتابع عليه
ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو
الفضل ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد
والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة
وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن
المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله
عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه
ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان
الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو
فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول
لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة
قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق
ذلك للعارف اذا سمع البيت الى قافيته ومبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به
ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع
الآي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى
صلى الله عليه وسلم احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها
له صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما
قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة
فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على
وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر
الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب
ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا
يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن

فيصف

فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه
البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى
الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال
نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره
في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك
في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل
ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم
مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب
كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها
ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج
ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم •
كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم
فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله
معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام •
لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل
كما نقل في قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح
النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا
الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي
حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله •
اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا الباب من مشكل
في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضا فان الكذب
متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان
استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا
ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة
وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور
الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما
ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستشنع ويستبشع
كلها مخل بصاحبها ومزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع ه

في هذا الموضع فان عددناها من الصغاير فهل يجري على حكمها في الخلاف
فيما يختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده
اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جا به النبي وتجويز
شي من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه
لا يجوز على الانبيا خلف في قول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد
ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه
البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم
واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن
تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش
وغيرها من الامم وسوالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من
ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه
وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول
الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت
فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق
ابراهيم بن جعفر ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو
عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود
ابن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام
ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام نسيت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت الصلاة
وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك
كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك
ان للعلما في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية
التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض
بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله
جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في
خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل
في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره

في موضعه

في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه منه
القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده
وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر
صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع
الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم انس في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله
اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم
اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما
نسيت هذا ما رايت فيه لايمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها
وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل والذي اقول ويظهر لي انه اقرب
من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره
على غيره بقوله بيسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله
في بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السايل اقصرت
الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه
ان كان جرى شي من ذلك فقد نسي حتى سال غيره عنه فتحقق انه نسي
واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم
يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر
استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان
غفلة وافة والسهو انما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو
في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله
ما قصرت وما نسيت خلف في قول وعندي ان قوله ما قصرت الصلاة وما
نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني
لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقا
نفسي والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام اني لا انسى او انسى لاسن
واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة انها كذباته الثلاث المنصوصة
في القران منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن

ونحوها الخبر فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا
في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم
فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه
من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل بل سقيم
القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع
نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح
صدق وقيل بل عرض باسقام حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم
التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته
عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعفت ايمانه
ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة
ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس
والقمر ما نصه الله تعالى وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا
الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على
طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي
فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله
تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم
قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب
وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها واما الحديث كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول
انما ليلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر
والبحث عن اخباره سنن مقصدها ليلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه
بذكر السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول
تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن
والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى
عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك
اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بلى عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك
وهذا خبر قد انبانا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض

طرقه

طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر
حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده
كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره
بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم
بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة
ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمها احد الا باعلام الله من علوم غيبه
كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم
على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله وعلمناه من لدنا علما وعتب الله عليه ذلك
بما قاله العلماء انكاره هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة
لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم ليلا يقتدي
به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما
تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي
والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك
ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال
عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا
الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا
يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما
فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون
فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه
السلام نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك
شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص
في قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان
موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى هو
وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم **فصل** واما
ما يتعلق بالجوارح من الاعمال فلا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر
الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من
معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر
الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب
القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة

واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة
والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك
من الكافة والجمهور القايل بانهم معصومون من ذلك من فضل الله لا معتصمون
باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا
واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا وهو مذهب
ابو جعفر الطبري وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا
ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها
منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طايفة اخرى من
المحققين من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا
لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس
وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو
اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد
الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب
الكباير فلا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي
والمشية في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي ابو بكر رحمه الله وجماعة ايمة
الاشعرية وكثير من ايمة الفقها وقال بعض ايمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف
انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة
ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازرا والخساسة فهذا
ايضا مما يعصم عنه الانبيا اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري
بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبيا منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل
المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد
ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض
الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم
وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي
حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك
وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول
الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج
والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب
وذهبت طايفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية

وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم
الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده
به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يومر المرء بامتثال
امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من
الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن
نبينا عليه السلام مجمعون انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى
شيا فسكت صلى الله عليه وسلم عنه دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله
في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ تجب عصمتهم
من مواقعة المكروه كما قيل اذ الحظر او الندب على الاقتدا بفعله ينافي الزجر
والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتدا بافعال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتدا باقواله فقد
نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم
برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضا حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج
غير واحد منهم في غير شي مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا خبرتيها اني اقبل وانا صايم
وقالت عايشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشا وقال
والله اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم من ان نحيط
عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداوهم بها ولو
جوزوا عليه المخالفة في شي منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك
ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم
مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من
انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الاخرة لا ياخذون من
المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم واصلاح دينهم
وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة
كما بينا منه اول الكتاب طرفا من خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم
فضل الله على نبينا وعلى ساير الانبيا عليهم السلام بان جعل افعالهم
قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل**

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح
ان شا الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة
تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف
الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله
ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشي وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول
غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر
والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القايلين بهذه المقالة عليها فذهب
سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك ه
النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن
كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته
ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يوثر شي من ذلك
جملة وذهبت طايفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون
متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة
غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى
واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع
الحكم عليه بشي في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان
عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة
ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع
ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصممه
ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى
وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة ه
والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين
اذ لو كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان
عيسى اخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة
عيسى بل الصحيح انه لم تكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام ولا
حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللاخرين
في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم
في التوحيد كقوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله
تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب

على

على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية
شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من
التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع
هذا القول في ساير الانبيا غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع
الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل
فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال
بوجوب الاتباع لمن قبله يلزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل

هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية
ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان
في الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك
المواخذة عليه فاحوال الانبيا في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم
مع اممهم سوا ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع
وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج
عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو
في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا
الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها
بمعنى القول من جهة التبليغ والادا وطرو هذه العوارض عليها يوجب ه
التشكيك وتسبيب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها
بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقها والمتكلمين
الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد
منه جايز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك ه
وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة
ذلك يناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في
النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه
السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة
النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع
كما قال عليه السلام اني لا انسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن
انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة

بتعبده من سمات النقص واغراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون
ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور
على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين واما ما ليس
طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور
دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة
على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه
وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل
وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على
سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع
السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام جملة وهو
مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه
الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى

فصل

في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام وقد قدمنا
في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه
في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن
نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في
الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين
الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث
مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن
به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه
لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة
الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام
غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا
بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني
كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني
لا انسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني

لاانسى

لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان
معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل
ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة
البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له
فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على
الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان
النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها
والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة
ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني
لا انسى ولكن انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه
السلام كان عمدا وتقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد
لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم
في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لا انسى او انسى
لاسن وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال
انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من
ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفراييني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه
ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي
حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم
ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر
الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك
الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها
فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير
الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب
الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له
فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد
قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء في ذلك اجوبة
منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات

وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله عليه
السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي
نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم وتاسيس
سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد
ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث
فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم
يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم
فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل
ذلك لملامسة الاهل ولحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام
حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه
من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن
رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض
ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته
من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان
من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا تصح ممن نامت
عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله
ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى
نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها
فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان
يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن اي ان الغفلة
في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من
سهو وغفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه
والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام
لما اسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر بابلاغه وتوصيله
الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه
من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما

ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل نسيانه له لحفظ الله كتابه
وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا
به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على
ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم
الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن
مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير
الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآية وما قص من قصص غيره من الانبياء
كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية وقوله عنه
ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من
قصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله
مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى
فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه
وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته
عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم
اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له ولا
تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه
هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان
قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك
امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره
القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين

والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لامته وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك
الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبمآل
المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصود الاية انك مغفور لك
غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب واما
قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما اسلف من ذنبك قبل
النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ
قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهرك حكى معناه السمرقندي وقيل
المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه
خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد
ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم
بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت
لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله نهي فيعد معصية ولا
عده عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك
قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان
له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله فاذن لمن
شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى
الله عليه وسلم عفا الله عنكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم
يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم
يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي
روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى
السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه

بيان

بل فيه بيان ما خص به وفضل من سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك
كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد
غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله
عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر
ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق واختلف المفسرون
في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو
الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا
وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مومنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنائم
لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال
لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص
قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير
في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا
القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء
او يقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه
لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل
فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم
وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام في هذه
القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب
رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه
وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه
اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم
فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن
ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر
اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه
في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان

قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان
وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على
ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى
ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة
اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ
من احل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله
عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك
المتصدي له ممن لا يتزكى وان الصواب والله اعلم لو كشف له حال الرجلين
لاختار الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك
الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة
له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده
والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى
الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم
عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله
وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره
بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد
نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك و
لزوجك الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان
انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما
اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله
حانثا وقد روي عذر ادم بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن جبير
حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك
قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا
الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى
وصف خمر الجنة انها لا تسكر واذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان
ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف
وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل
ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر

ان

ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها
الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا
قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها
نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم ربه وقال فتاب
عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت
فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة
يونس فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه من قومه
فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله
لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه
نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال
المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن
ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه
فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه
اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا
السبب في وضعهما في غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما
الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره
فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله
عليه قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله
وحسن ماب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة
مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان
قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه
وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا هو الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد
قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه والى نفي ما اضيف الى داود في الاخبار من ذلك ذهب احمد بن

نقص وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر
يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلا
في نعاج غنم على ظاهر الاية واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف فيها تعقب •
واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم
في القران عند ذكر الانبيا قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل
انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف
حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم
نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا
ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقها والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ
به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها
كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقها
والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من
همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم
يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم
او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ
فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم
وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال
الله تبارك وتعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال
تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا وقال وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل في ربي الله وقيل
الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه
عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله
كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف ميل شهوة
حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه •
واما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى على انه من عدوه
قال كان من القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا
كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا
لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر
لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر •

وقال

وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه
قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته
وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له
مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك
اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها
واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف
الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك
الموت جاءه فلطم عينه ففقاها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام
بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان
موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا
يمكن انه حينئذ علم انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب
عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد
واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا
الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله
المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة
وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف •
واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد
فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن ياتين
بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم
تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال
اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه
وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه
على ذلك وتمنيه وقيل انه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب
عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان
يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اخذ بذنب قارفه بعض نسائه •
ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسليطه على ملكه
وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا

وقد عصم الانبيا من مثله فان قيل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شا الله
فعنه اجوبة احسنها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ
مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة
بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما
سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك هو
وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره
من انبيا الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته
كالانة الحديد لابيه واحيا الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل
وظاهر اللفظ لقوله تعالى انا منجوك واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد
علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من
اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله
انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا التاويل وعتب
عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسواله ما لم ياذن له في السوال فيه وكان نوح
فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على
نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسوال فيما لم يوذن له
فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل
فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث
ما يقتضي ان هذا اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي
جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت
الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما
اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال
تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انه اذته هو في
خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك
ولم يات في كل هذا امرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه بزجره عن ذلك ولا
بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام
ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب
عنه كما تقدم من ذنوب الانبيا التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة

فصل

فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب
والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبيا بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شي فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه
جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور
لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المواخذة
بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خايفون
وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال
طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشي الدني الرذل
ومنه ذنب كل شي اي اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم
واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر
والعلانية وغيرهم يتلوث من الكباير والقبايح والفواحش ما تكون بالاضافة الى هذه
الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها
بالاضافة الى علي احوالهم كالسيات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى
مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي
جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب من
الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله
لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في
السجن بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره
لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن
ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ
الانبيا بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن ساير الخلق لقلة مبالاته
بهم في اضعاف ما اتوا به من سو الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى
وعلى سياق ما قلناه اذا كان الانبيا يواخذون بهذا مما لا يواخذ
به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا

في هذا اسوا حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا
على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك
زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة
رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك
الاية وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال بعد
ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن ماب قال بعض المتكلمين
زلات الانبيا في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشارة الى نحو
ما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم
بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر
ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف
بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال بن عطا لم يكن
ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام
وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر
ولا خلاف في عصمة الانبيا من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي
مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبيا وتوبتهم
منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال
السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم
وتوبته وغيره من الانبيا على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف
بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن من المؤاخذة بما
تقدم وتاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي
قال الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبيا خوف اعظام وتعبد لله لانهم
امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم وتستن بهم اممهم كما قال عليه السلام
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار
معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله قال الله تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الانبيا والرسل الاستغفار
والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعا لمحبة الله تعالى والاستغفار
فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام بعد ان غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا **فصل** قد استبان ذ

ذلك

لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته وكونه
على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا
ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة
قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة
السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته
في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فايدتها
وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف
صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما
لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه
دار البوار ولهذا ما احتاط النبي عليه السلام على الرجلين اللذين راياه
ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان
الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيا
فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل
جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول
العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفايدة التي ذكرناها
وفايدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتبتني عليها مسايل لا تنعد من
الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقها في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي
صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه
ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه
لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم
في وقوع الصغاير وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك
العلم فلا نطول به وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف
الى النبي صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف
ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا
في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجتري على

سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وسبيل
هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وايمة العلما والمحققين في عصمة الملايكة ه

فصل في القول في عصمة الملايكة اجمع المسلمون ان الملايكة مومنون
فضلا واتفق ايمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سوا في العصمة مما
ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبيا والتبليغ اليهم كالانبيا مع الامم هـ
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طايفة الي عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وبقوله وما منا الا له
مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون الاية وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات
وذهبت طايفة الي ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشيا ذكرها اهل
الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شا الله بعد ونبين الوجه فيها ان شا الله والصواب
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل
مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار بان لا حاجة بالفقيه الي الكلام في عصمتهم
وانا اقول ان الكلام في ذلك كالكلام في عصمة الانبيا من الفوايد التي ذكرناها
سوي فايدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من
لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة
المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلايهما فاعلم اكرمك الله
ان هذه الاخبار لم يرو منها شي لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس هو شيا يوخذ بقياس والذي منه في القران اختلف المفسرون
في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه
الاخبار من كتب اليهود وافترايهم كما نصه الله اول الايات من افترايهم
بذلك علي سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة علي شنع عظيمة
وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطا هذه الاشكالات ان شا الله تعالي
فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما
المراد بالملكين ام لا وهل القراة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما
يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين
لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال
الله تعالي انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس تعليم انذار اي يقولان

لمن

لمن جا يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا فانه
سحر فلا تكفروا فعلي هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية
وهي لغيرهما فتنة وروي ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده
هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا
بعضهم وما انزل علي الملكين ببابل هاروت وماروت فقال خالد لم ينزل
عليهما فهذا خالد علي جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر
غيره انهما ماذونان في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان
من الله وابتلا فكيف لا ينزههما عن كباير المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار
وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام
وما كفر سليمان صلى الله عليه وسلم يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين
واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل علي الملكين قال مكي هما جبريل وميكايل ادعا
اليهود عليهما المجي به كما ادعوا علي سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه
قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل علي الملكين بكسر
اللام ويكون ما ايجابا علي هذا وكذلك قراة عبد الرحمن بن ابزي بكسر اللام ولكنه
قال الملكان هنا داود وسليمان ويكون ما نفيا علي ما تقدم وقيل كانا ملكين من
بني اسرايل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة فمحمل الاية
علي تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملايكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا
وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما
يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملايكة ورييسا فيهم ومن خزان الجنة الي
اخر ما حكوه وانه استثناه من الملايكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا
لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو
قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم
الملايكة في الارض حين افسدوا والاستثنا من غير الجنس شايع في كلام
العرب وقد قال تعالي وما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار
ان خلقا من الملايكة عصوا الله تعالي فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا
ثم اخرون كذلك حتي سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل
لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها والله اعلم

الباب الثاني فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبيا والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص
للبشر يجوز عليه من الافات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز
على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشي انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو
اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها
يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى
واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعيا
والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته •
وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه
وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر
التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبيا ما هو اعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في
النار ووشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من
عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد
ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش
عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل
وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم
من سم اليهودية وهكذا سائر انبيايه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته
ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب
على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنتهم تسلية لاممهم
ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم • قال
بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم
البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة
واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملا الاعلى
والملايكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم وقد قال عليه السلام ان عيني
تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه
وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف
وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شي باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم •
الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام

حاضر

حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جا في بعض الاثار انه كان محروسا
من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف
لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر
انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر
وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه **فصل**
فان قلت فقد جات الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا
الشيخ ابو محمد العتابي بقراتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن
اسماعيل ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت سحر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشي وما فعله وفي رواية
اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان ياتي النسا ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا
من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف
جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق
عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على
امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله
عليه وسلم عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما
ما ورد انه يخيل اليه انه فعل الشي ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه
داخلة في شي من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل
والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه من امر دنياه
التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للافات كسائر •
البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان
وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله
ولا ياتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات في خبر
منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما
كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشي انه فعله
وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد

واتوالده علي الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة علي هذا الحديث مع
ما اوضحناه من معني كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه
قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلي وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد
من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روي هذا الحديث عن ابن المسيب
وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلي الله عليه
وسلم فجعلوه في بير حتي كاد رسول الله صلي الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله
الله علي ما صنعوا فاستخرجه من البير وروي نحوه عن الواقدي وعن عبد
الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطا الخراساني عن يحيي بن يعمر
حبس رسول الله صلي الله عليه وسلم عن عايشة سنة فبينا هو نايم اتاه
ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلي الله عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة حتي انكر بصره
وروي محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلي الله عليه وسلم فحبس
عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان
لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط علي ظاهره وجوارحه
لا علي قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطي
نسايه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معني قوله يخيل اليه انه
ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر من نشاطه ومتقدم عادته القدرة علي النسا
فاذا دني منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر علي اتيانهن كما يعتري من اخذ
واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من
السحر ويكون قول عايشة في الرواية الاخري انه ليخيل اليه انه فعل
الشي وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه
راي شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن علي ما يخيل
اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشي طرا عليه في ميزه واذا كان
هذا لم يكن فيما ذكر في اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد
به الملحد المعترض انسا   هذه حاله في جسمه فاما
احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها علي اسلوبها المتقدم بالعقد والقول
والفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشي علي وجه ويظهر
خلافه او يكون منه علي شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو سفيان
ابن العاص وغير واحد سماعا وقراة العاصي قالوا ثنا ابو العباس احمد

ابن عمر

ابن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد بن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا
ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي ثنا رافع بن خديج
قال قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل فقال
ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه
فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشي من دينكم
فخذوا به واذا امرتكم بشي من رايي فانما انا بشر وفي حديث انس انتم اعلم
بامر دنياكم وفي حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي
حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا
بشر اخطي واصيب وهذا علي ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه
في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه او سنة سنها وكما حكي ابن اسحاق انه عليه السلام
لما نزل بادني مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه
الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو
الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتي ناتي ادني ما
من القوم فننزله ثم نغور ما وراه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال
اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالي وشاورهم في الامر
واراد مصالحة بعض عدوه علي ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما
اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل
فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس
في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها
وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلي الله عليه وسلم مشحون
القلب بمعرفة الربوبية ملان الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال
بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور
ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلي الله
عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة فرق
اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا

هذا الكتاب. **فصل** وأما ما يعتقد في أمور أحكام البشر الجارية على
يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه
السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم
أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه
بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار. حدثنا الفقيه أبو الو
ليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو عمر ثنا أبو محمد ثنا أبو بكر ثنا
أبو داود ثنا محمد بن كثير أنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب
بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب
أنه صادق فأقضي له وتجري أحكامه عليه السلام على الظاهر وموجب
غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعات الأشبه ومعرفة
العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه لو شاء تعالى لأطلعه على
سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه
دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله أمته
باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره وكان هذا
لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء
من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم
ما اطلع عليه هو في تلك القضية بحكمه هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام
الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى
أحكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء
أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على
علم ويقين من سنته إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال
اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح
في وجوه الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي
بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته
وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما يشاء
ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته. **فصل**
وأما أقواله الدنيوية من أخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله

أو فعله وقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد
أو سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله عليه
وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فأما المعاريض
الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية
لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره
وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من
صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة
التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لأن كل جمل
ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام إني لأمزح ولا أقول
إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فأما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي
في الأمور الدنيوية فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا
عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي أن تكون له خائنة
الأعين فكيف أن تكون له خائنة قلب فإن قلت فما معنى قوله تعالى إذ في قصة
زيد وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية
فاعلم أكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر
وأن يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين أن الله تعالى كان
أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها إليه زيد قال له أمسك
عليك زوجك واتق الله وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله به من أنه
سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى
نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا
قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها
ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي
أخفاه عليه السلام مما كان أعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر
قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل
قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين فيما أحل لهم
ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله

عليه وسلم عنده ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان اعظم الحرج وما لا يليق به من مد
عينيه لما نهي عنه من زهرة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي
لا يرضاه ولا يتسم به الاتقيا فكيف سيد الانبيا قال القشيري وهذا اقدام
عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال
راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن
منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها
وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته
كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج
ادعيايهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفايدة في امر
النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته
فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه
ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله
بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج
في ازواج ادعيايهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة ورد
النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل
هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات
التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي
وهو قول ابن عطا وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر
ابن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي
صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك بقوله تعالى ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه
وسلم فقد اخطا فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه
الاستحيا اي يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه
السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم
تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل الابنا كما كان فعتبه الله على
هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى
ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله
هاهنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة

لو كتم

لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابدا
ما اخفاه **فصل** فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله
في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضا ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته
عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال ثنا
القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر قال ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحاق قال
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق
انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن
تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني
فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي
رواية هجر ويروى اهجر وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد
اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني
وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب
لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال
ايمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض
وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم
ان يكون منه من القول اثنا ذلك ما يطعن في معجزته ويودي الى فساد في
شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية
من روى في الحديث هجر اذ معناه هذي يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر
هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على
طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من
رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام
عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق
وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد يحمل عليه رواية
من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر وان يحمل قول القايل
هجر او اهجر دهشة من قايل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول

صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي
هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القايل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة
الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول
والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق
المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس ومن رواية قتيبة فقد يكون
هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم •
اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا
من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلما في معنى
هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان ياتوه بالكتاب فقال
بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين
فلعل قد ظهر من قراين قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه
عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما
اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب راي عمر ثم هؤلا
قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه
في تلك الحال املا الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور
سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطي ماجورا
وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم
دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب
الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي
تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما يكتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان
يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعا الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه
كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون
على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طايفة اخرى ان معنى •
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه •
لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره
ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول
العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر

فينا

فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله لا والله لا افعل الحديث واستدل بقوله
دعوني فان الذي انا فيه خير اي ان الذي انا فيه خير من ارسال الامر •
وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة
بعده وتعيين ذلك

فصل

فان قيل فما وجه حديثه ايضا
الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه نا ابو علي الطبري •
نا عبد الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم
ابن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين
قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا
لن تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة
تقربه بها اليك يوم القيامة وفي رواية فايما رجل دعوت عليه دعوة
وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته
او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى
الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد
او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله
صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه
عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها وحكم عليه السلام •
بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا له عليه السلام
لشفقته على امته ورافته ورحمته للمومنين التي وصفه الله بها وحذره
ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاه وفعله له رحمة فهو معنى قوله
ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل
مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح • ولا يفهم من قوله اغضب
كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا
ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه كان مما يحتمل ويجوز
عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج
الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد
من دعايه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقل
والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت
يمينك ولا اشبع بطنك وعقري وحلقي وغيرها من دعواته • وقد ورد

في مسنده في غير حديث انه حليم لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا
لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه، فيكون حمل الحديث
على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه
كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون
ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر
من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس
والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه عز وجل لمن جلده او سبه على حق
وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصابه وتمحية لما اجترمه وان
تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن
اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث
الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري
في شراج الحرة اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر فالجواب ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القضية امر يريب ولكنه
صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق
التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى
النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث
فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل
المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي
وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء
في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعديه
حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني
بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه
الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي

قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام الناقة
مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك
وهو يابى فضربه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام
لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان
حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده
في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه وانما ضربه
عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان
منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل** واما
افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرنا وكله غير قادح في النبوة
بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها
او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بينا اذ كان عليه السلام لا ياخذ
منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها
يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من
ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه
او تالف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح
اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية
بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب
الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على
الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في
لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل
الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان
كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه
وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه
من المدينة وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين
من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان
يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على
قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا

من نغار تعلو بهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعايشة في
الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم
ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها
الى العدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي
ويبسط وجهه للكافر والعدو رجا استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان شرار
الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغايب رجا ليحبب اليه شريعته
ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملأته حتى
لا يبدو منه شي من اطرافه وحتى كان على روس جلسايه الطير ويتحدث مع
جلسايه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع
الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسايه
يقول ما كان لنبي ان تكون له خاينة الاعين. فان قلت فما معنى قوله
لعايشة في الذي دخل عليه عيينة بن الحصين فلما دخل الان له القول وضحك
معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره
وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال. فالجواب
ان فعله عليه السلام كان استيلافا لامثاله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في
الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على
هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستالفهم
باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض
الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق وقوله فيه بيس ابن العشيرة هو غير
غيبة بل هو تعريف بما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ولا يغتر منه ولا يوثق
بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع
مضرة لم يكن بغيبة بل كان جايزا بل كان واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين
في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في
حديث بريرة من قوله عليه السلام لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها
الا ان يكون لهم الولا فقال عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولا ففعلت
ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط
ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه
باعتاقها والولاء والله اعلم لما باعوها من عايشة كالم يبيعوها ابل حتى شرطوا ذلك
عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي

صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في باله ايهام من هذا ولتنزيه النبي عن ذلك ما قد
انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث
ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم كما قال الله تعالى اولئك لهم
اللعنة وقال وان اساتم فلها فعلى اشترطي عليهم الولا لك ويكون قيامه
النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولا لانفسهم قبل
ذلك ووجه اخر ان قوله عليه السلام اشترطي لهم الولا ليس على معنى
الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي
صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي
فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله
عليه وسلم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث
ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك
وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام
باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته
في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية
تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك
فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه باني
انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته
وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله
ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة
ولعل قايله ان حسن له التاويل كاينا من كان ظن على صورة
الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير
هذا ولا يلزم ان تقول الانبيا ما لم يات انهم قالوه حتى يطلبوا الخلاص منه
ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما
الحكمة في اجرا الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبيا على جميعهم
السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلا وامتحانهم بما امتحنوا به
كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه

فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله كلها عدل وكلها حكمة وجميعها صدق ولا بد لك
أنه تعالى يبتلي عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم أحسن عملا ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو
أخباركم فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم هو
وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعا والتضرع منهم وتاكيدا لبصايرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على
المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم فيتسلوا في
المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم هو
أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون أجرهم
أكمل وثوابهم أوفر وأجزل حدثنا القاضي أبو علي الحافظ نا أبو الحسين
الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا نا أبو يعلى البغدادي قال نا
أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا أبو عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد
ابن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول
الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على
حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة
وكما قال وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآيات الثلاث
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله
حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن أنس عنه عليه السلام إذا أراد الله بعبده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه
حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث آخر إذا أحب الله عبدا ابتلاه هو
ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله تعالى كان بلاؤه
أشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان أنه قال
يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي أن
ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف نايم
محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما
يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له
عجوز لبكايه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب بالبكاء
أسفا على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما
علم بذلك كانت بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه ألا من كان مفطرا

فليتغد

فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي
عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على سلطانهم فكلموه في
ظلمه وأغلظوا له إلا أيوب فإنه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلايه
ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة أصهاره أو العمل
بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي
صلى الله عليه وسلم قالت عايشة ما رأيت الوجع على أحد أشد منه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت إنك لتوعك وعكا شديدا قال أجل
إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن لك الأجر مرتين قال
أجل ذلك كذلك وفي حديث أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال والله ما أطيق أضع يدي عليك من شدة حماك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن كان
النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي ليبتلى
بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن أنس عنه عليه
السلام إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن
رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقال المفسرون في قوله تعالى من
يعمل سوءا يجز به أن المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له كفارة وروي
هذا عن عايشة وأبي ومجاهد وقال أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة
تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية
أبي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى
ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن
مسعود ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق
الشجر وحكمة أخرى أودعها الله في الأمراض لأجسامهم وتعاقب الأوجاع
عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم
وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات لتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك خلاف موت الفجاة وأخذه كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في
الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل
خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة من حيث

اتمها الريح كفاها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفا بالبلاء ومثل الكافر
كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزا مصاب بالبلاء
والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه
وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها
من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما
اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته
عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم
من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها
وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب
حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصما حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه
على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة
ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة
اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجا جميعهم بالموت
على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره
السلف موت الفجاة ومنه حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة
الاسف اي الغضب يريد موت الفجاة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات
وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم
مما هذا حاله للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه
متعلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد
ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه
او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد
من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل
وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار
عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة
او الله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة

عباد

عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه الكفار لامهال الله
لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاة سبحان الله كانه
على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاة راحة للمؤمن واخذة
اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد
له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جا وافضى الى راحته من نصب الدنيا
واذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وياتي الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد
شي عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شي له والى هذا المعنى
اشار عليه السلام بقوله من احب لقا الله احب الله لقاه ومن كره لقا
الله كره الله لقاه.

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام

فيمن تنقصه او سبه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى
الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا
حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين
وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم
التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا
الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع
منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن
التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر
والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها
عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير
النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك

نهوا عن ذلك اذ مقصدها انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب ارفاقا
بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي
ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم
استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ
عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك
المنافقون والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت
قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان
والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا
على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث
مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب
ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب
والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من
ندائه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون
يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض
الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه
وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم
وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد
ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه
محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا عليه السلام يسب بك والله لا تدعى
محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء
الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك
والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك
وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان
ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة
ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا
القسم على بابين كما قدمنا **الباب الاول** في بيان ما هو

في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان
جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه
او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له
او الازراء عليه او التصغير لشأنه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا
المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى
مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته
العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى
من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة
لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله
عليهم الى هلم جرا قال القاضي ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان
من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس
والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل
وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء
وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في
المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى
الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم وبرئ
منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا
وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب
الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار
وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية
وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف
ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل
ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه
في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم
صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب
قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى

الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية من سبه او شتمه
او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله
توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
قتل وصلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي
المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد
اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من
النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال
اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله
ابن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن
مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه
وسلم وسخ اراد عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا
على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو
الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب
بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي
صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون
تعرفون صفته هي صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته
وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي
سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل
وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعل الله
برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا فقال له ما تقول يا عدو الله فقال
اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي
سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك
قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه
امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له
فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل
اد ما عليك واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت
فقد جهل وسال النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وافتى فقهاء الاندلس

بقتل

بقتل ابن ابي حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي
صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة
وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه
لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان
شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس
ابن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء
بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره
من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق
بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي
استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ
في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا
عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد
الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب
والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة
من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن الربيع القروي مذهب مالك
واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة
وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم
باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما
عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا
متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك
اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما
اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه
او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى مذاهب
العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه **فصل** في الحجة في ايجاب قتل
من سبه او عابه عليه السلام فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والاخرة
وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله وان اللعن انما
يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله
ورسوله الاية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل
قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين

وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى
قتل الخراصون وقاتلهم الله أنى يؤفكون أي لعنهم الله ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين
وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله
ونبيه أشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ولا يحبط
العمل إلا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به
الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو أذن ثم قال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب أليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد
كفرتم بعد إيمانكم قال أهل التفسير قد كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأما الإجماع فقد ذكرناه وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال نا أبو الحسن
الدارقطني وأبو عمر بن حيويه قال نا محمد بن نوح نا عبد العزيز بن محمد
ابن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه
عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب
نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى
الله عليه وسلم أمر بقتل كعب بن الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف
فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره
من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى
وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين عليه وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا
تغنيان بسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه
النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك أمر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من
الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة
منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه
وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى يا معشر قريش
ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك

على رسول

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير وروى
أيضا أن امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوتي فخرج إليها
خالد بن الوليد فقتلها وروي أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث
عليا والزبير إليه ليقتلاه وروى ابن قانع أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر رضي
الله عنه أن امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم
فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لأمرتك
بقتلها لأن حد الأنبياء عليهم السلام ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت
امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها
أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح
فيها عنزان وعن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه
وسلم وتشتمه فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها
وفي حديث أبي برزة الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق رضي
الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي إسماعيل وغير واحد
من الأئمة في هذا الحديث أنه سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر
وقد أغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعني أضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف عليه أحد فاستدل
الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه
أو آذاه أو سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة وقد
استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر أنه لا يحل قتل
امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير
المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي أبو الفضل كذا وقع في هذه

الكلام وروايتها عن غير واحد من اصحاب مالك وموالي اخباره وغيرهم ولا
ادري من هؤلاء الفقهاء العراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب الفقها
بقتله والعلم ممن لم يتبين علمه او ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون
ما نقل عنه يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع
وتاب عن سبه فلم يقتله مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه
ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام فقد
ظهرت عليه علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير
من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي
حنيفة والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم
له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا
كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فـ
اعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا
كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا كقول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل
ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير
دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى
الله عليه وسلم من الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت
العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره

فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك
اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له
ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك وقال قد اوذي موسى عليه السلام باكثر من هذا فصبر ولا قتل
المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم
اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما
بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا
تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر
على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك
امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاصفح عنهم
ان الله يحب المحسنين • وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتأليف اول الاسلام وجمع الكلمة
عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره
كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود
وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة
مظهري الايمان به ممن يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك
ندر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه
حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه
السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع
امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام
وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم
من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا
ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار •
كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال
وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله
الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة
والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهودي في السلام •
وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو
كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا
في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا
عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك
تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان •
وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم

بالإسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب
كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر
منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد
وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام
غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة
وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوب الى مالك بن انس
رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجرا الاحكام الظاهرة
عليهم من حدود الزنى والقتل وشبهه لظهورها واستوا الناس في علمها
وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في
المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
نسختها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد
بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه
والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في
مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه
صريح سب ولا دعا الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد منه من لحاقه جميع
البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسامة الملال وهذا دعا
على سامة الدين وليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض
علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي
ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه السلام سوا وقال
القاضي ابو محمد مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث
هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب

الادلة

الادلة الامر المتحمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة
والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا
معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو
اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم
وانزالهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شا منهم الجلاء
واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم
بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واه
واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة
الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جا في الحديث
الصحيح عن عائشة انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شي يؤتى اليه قط الا
ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم
ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون
ما لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس
والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفا
والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في
عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي
شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن
الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر رجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن
اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي
سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين
فصفح عنهم رجا استئلافهم واستئلاف غيرهم كما قررنا قبل وبالله التوفيق

فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازرا به وغمصه
باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني
لاحق به في البيان والجلا وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام
غير قاصد للسب والازرا ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام
بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب
له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة
في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور

علم او دعا عليه او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها
عنه عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول او قبيح من الكلام ونوع من
السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه
اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة
وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول
القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان
ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور
يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره
او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر احد بدعوى زلل اللسان في مثل
هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره
يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد
لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه
لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو
كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل
فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان
حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى
به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى
دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان
مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم
ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك فهو
فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو
حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع
وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل

عليه

عليه قران وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد
يستتاب وكذلك قال فيمن تنبا وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن
القاسم دعا ذلك الى سر او جهر قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب
الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبا او زعم انه ارسل
الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان
تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله
لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله
فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند
الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه ابو
عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم
يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون
استتابة

فصل الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ
من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد
في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا متردد النظر وحيرة
العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من
هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه
وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرا
الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه
فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة
الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم
يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه
انما شتم الناس وهذا نحو سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى
الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل
على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم

ولا مقتد منه يحمل كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل الامر الآخر له بهذا اصلي عند غضب هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبيا والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبيا وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسالة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قد قصد سب من في ابائه من الانبيا على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسالتين تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشي ثم قال له تتهمني فقال

له

الانبيا يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه

فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتنذير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبيا الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم او كصبر ايوب او كصبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي

انا في امة تداركها الله • غريب كصالح في ثمود •

ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

كنت موسى وافته بنت شعيب • غير ان ليس فيكما من فقير •

على ان اخر البيت شديد وداخل في باب الازرا والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد • قلنا محمد من ابيه بديل •

هو مثله في الفضل الا انه • لم ياته برسالة جبريل •

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل تشبيه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر

استشفعنا وبه عزنا وهذه اشد وحق منه قول الاخر
وإذا ما رفعت راياته • صفقت بين جناحي جبرين
وقول الاخر من اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا • فصبر الله قلب رضوان
وكقول حسان المصيصي من شعرا الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد
ووزيره ابي بكر بن زيدون
كان ابا بكر ابو بكر الرضي • وحسان حسان وانت محمد
الي امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها
ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح
هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم
به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعرا واشدهم
فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي وابن سليمان المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما الي حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر
وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان
هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الي الانبيا والملائكة نقصا ولست
اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازرا ولا غضا فما وقر النبوة
ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفا ولا عزز حظوة الكرامة حتي
شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفا منها او ضرب مثل
لتطييب مجلسه او اغلا في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف
قدره والزم توقيره وبره ونهي عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق
هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة
مقاله ومقتضي قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه
او ندمه علي ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جا
به وقد انكر الرشيد علي ابي نواس قوله
فان يك باقي سحر فرعون فيكم • فان عصي موسي بكف خصيب
وقال له يا ابن اللخنا انت المستهزي بعصي موسي وامر باخراجه عن عسكره من
ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين
وتشبيهه اياه بالنبي صلي الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها •
خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله

كيف

كيف لا يدنيك من امل • من رسول الله من نفره •
لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف هو
فالحكم في امثال هذا ما بسطناه من طريق الفتيا وعلي هذا المنهج جات فتيا
امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي
مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال اتعيرني بالفقر وقد رعي النبي صلي
الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلي الله عليه وسلم في
غير موضعه اري ان يودب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان
يقولوا قد اخطات الانبيا قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر
لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال
جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا يكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلي علي
النبي صلي الله عليه وسلم عند التعجب الا علي طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسيل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح
كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شي اراد
بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه
حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقته فان كان هذا فهو شديد لانه
جري مجري التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك
وانما السب واقع علي المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال هو
للسفها قال واما مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكره
من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه
القايل علي طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك
الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون
اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثني علي العبوس
بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة
وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا
في شاب معروف بالخير قال لرجل شيا فقال الرجل اسكت فانك
امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس
واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما
اطلاق الكفر عليه فخطا لكنه مخطي في استشهاده بصفة النبي صلي
الله عليه وسلم وكون النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه

وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه لما استغفر
وتاب واعترف ولجا الى الله تعالى ترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه
الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى
فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابو محمد بن منصور رحمه الله تعالى في رجل
تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر
يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه
اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله

فصل

الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا
ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة
وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه
الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح
له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في
مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه
ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان
القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع
بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه
والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من
ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين
وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب
الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد
في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن
القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب
وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على
كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به
الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد
التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل
هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله
تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد
وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب

فليشهد

فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى
لها مدخلا في هذا الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض
بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح واما للاغراض
المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم
والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله
في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع
السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في
كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد
بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله
في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه الحكاية السائغة
عنها فاما الحكاية ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه
على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم
في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال
وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما
كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن
عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم
ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول القرآن مخلوق
فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما
سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل
انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى
غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله
والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه السلام
وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره
فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام
فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر
بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى

وكتابه وقراءته وتركه عني وجد دون محو رحمه الله اسلافنا المتقين المتحرزين
لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا
روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول
ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم
ابن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي
اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا
من المشاركة في ذم احد بروايته ونشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر
صلى الله عليه وسلم **فصل** الوجه السابع ان يذكر
ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من
الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات
الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله
وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على
طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء
وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص
ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ
لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم
مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته
فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك
القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه
السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من
نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا
لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به
الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء
حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة
اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك
قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له
فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من
منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة فيه كما له على نبوته
وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه

من اشداهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم
واستباحة ممالك كثيرة من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده
بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان
ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب
ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل
في ابائه من ملك ثم قال ولو كان في ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه
واذ اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة
وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به
فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من
القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى
الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل
ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في
نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب
والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان
من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته
فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام
حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى
هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره
وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته
نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين
حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا
من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرنا فمن اورد شيئا منها مورده وقصد
بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه
بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره
واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال
يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب

ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروي منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا
فلقد كره التحدث بمثل ذلك الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال
ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال
لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم
على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم
اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في
حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة
ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من كلام
العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها
وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من امن به ومنهم
من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في
حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على
معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه
التعريف بانها ضعيفة المعنى واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي
بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة
لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل
كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها
اكشف للبس واشفى للنفس

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في
الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره
عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجبة من توقيره وتعظيمه ويراقب حال
لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فان ذكر ما قاساه
من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا
اخذ في ابواب العصمة وتكلم في مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن
اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية واذا تكلم في الاقوال قال هل

يجوز

يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة
ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز
ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن الا ان يكون عنده علم من بعض الاشياء
حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال
قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر
فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من
انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من التعزير
والاعظام صلى الله عليه وسلم وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا
فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله
لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما ياباه ويكفر
قائله واذا كان هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم
وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة
العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها تعظم الامر او تهونه
ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة
النفي عنه والتنزيه له فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها
فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور
في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه
وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر
عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني
وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القران حكى الله
فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض
بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثالث

في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته
ووراثته قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه
عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير
الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان
مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا
ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته

ولا فيه كما قدمناه تقبل وحكمه حكم الزنديق ومستسر الكفر في هذا القول
وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء
تائبا من قبل نفسه لأنه حد وجب عليه لا تسقطه التوبة كسائر الحدود
قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر
التوبة قتل بالسب لأنه هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد في مثله
وأما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته
عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي
أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال أقتله
بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي الظهور
عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها
بمجيئه فكأنا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي
أبو الفضل وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم
أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق بالنبي
صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق
الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث
وإسحاق وأحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن
أبي حنيفة وأبي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه عليه السلام لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر وقال القاضي
أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب
الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي صلى الله عليه وسلم
بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه الله بنبوته والباري تعالى
منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس
سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لأن الارتداد معنى
ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب
النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين
ارتداده أو يقذف فإن توبته لا تسقط عنه حق القتل والقذف
وأيضا فإن توبة المرتد إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنى وسرقة

وغيرها

وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع
إلى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي
أبو الفضل يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى
الإزراء والاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار إنابته ارتفع عنه اسم الكفر
ظاهرا والله أعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وكلام شيوخنا هؤلاء مبني
على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج إلى تفصيل وأما على رواية
الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من
أهل العلم فقد صرحوا أنه ردة قالوا ويستتاب منها فإن تاب نكل وإن
أبى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الأول
أشهر وأظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو
يوجب القتل فيه حدا وإنما نقول ذلك مع فصلين إما مع إنكاره ما شهد
عليه به أو إظهاره الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر
عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه وأجرينا
حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب
فإن قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون
عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم
الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة
وإنكاره ما شهد عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلا ومعصية وأنه
مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر على بعض
الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة وأما من علم
أنه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك إن كان
سبه في نفسه كفرا كتكذيبه أو تكفيره ونحوه فهذا مما لا إشكال
فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة
حدا لقوله ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله تعالى المطلع على صحة
إقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد عليه
وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة
نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات
خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها وأجر اختلافهم
في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم إن شاء الله تعالى

فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على اختلاف
في توبة المرتد انه لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها
فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع
من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول
عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري
ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق واصحاب الراي
وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ
وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته
عند الله تعالى ولكن لا ندرا القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم
فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب
ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سوا
وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن
عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد
والذكر والانثى في ذلك سوا واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر
انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد
قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا ياتي الاستظهار
الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد
في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر
يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن
القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراي وروي عن ابي
بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال
الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال
الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي انه
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت
توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة
ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم
يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف

على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك
ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره
وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب
ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال
اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه
سوا ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك
يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان
الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع
وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحاق يقتل في الرابعة وقال
اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة فان تاب ضرب ضربا
وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر
ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب
مالك والشافعي والكوفي فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك
بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم واما من لم تتم عليه الشهادة
الا بما شهد عليه الواحد واللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط
عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة
السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن
قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود
الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده
عن صلاته وهو حكم على كل من وجب عليه القتل لكن وقف على قتله لمعنى
اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله
تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها
ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب
المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب
النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب
الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل
هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان
يطلق من السجن ولكن يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم

ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا
ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسالة اخرى مثلها ولا تترك
الدما الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفها ويعاقب عقوبة
شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما
ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه
وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل
التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا
يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد

فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض
او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا
في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة
العلما الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا
لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يودب ويعزر واستدل
بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في دينكم الاية واستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا
ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة
فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم
لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن
قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه
وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره
الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد
وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا
سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى

باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها
شي وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه
الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه
من قتل او قذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فانا لا نقبل توبة الكافر اولى
قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبيا عليهم
السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون
وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له
توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى
الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر
ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى
عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم
وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شي عليهم لان الله اقرهم على مثله
واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو
شي تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا
خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب
الوجيع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف
فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم
ومحمل قوله عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون في سوالات سليمان
ابن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة
الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون من شتم الانبياء
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان
يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا
واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله
فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل

لنا اهل الحرب الجزية علي اقرارهم علي سبه لم يجز لنا ذلك في قول قايل كذلك
ينتقض عهده من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه
وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله
ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري
قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته
حتى قتلته او عاش يوما وليلة ومات وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة
فاكلته الكلاب وسيل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال
يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين
محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه
استراح الناس منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم
فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه
بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا
في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسيلة ابن القاسم المتقدمة
قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت
يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما
اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت
الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة
في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت
بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول
اسلامها ودرا القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين منهم
القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب
الله تعالى ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي
ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درا القتل عنه باسلامه وقال
ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن
الذمي اسلامه وانما تسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف
فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي
صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه

هل

هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة
عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر
يشبه كفر الزنديق وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا
بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا
يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه
على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شي
وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وساير احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه
فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا
يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر
المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تايب ولا مقلع وهو مثل
قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله
لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن
اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين
ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ
قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث
الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف
انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه
بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن
حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به
الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن
احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب
والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحاق
وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما
كسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي الجواب حسن

بين وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث
الزنديق فمرة ورثه من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها أو اعترف
بذلك وأظهر التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر
للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة
المسلمين لأن ماله تبع لدمه وقال به أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب
والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية إلى أنه إن
اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وإن لم يقر حتى قتل أو مات
ورث قال وكذلك كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام ه
وسئل أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب أنه للمسلمين
ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم
لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه
وسلم وأزواجه وصحبه لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال
الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون
ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن إسحاق بن يحيى من سب الله تعالى
من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون افتراء على الله تعالى بارتداده إلى دين
دان به وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف
وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم
بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم
يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي
ابن نصر عن المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن
رجلا ولعن الله تعالى فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني فقال
يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور
واختلف فقها قرطبة في مسألة هارون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه
وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند
استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب
هذا كله فأفتى إبراهيم بن حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير الله

تعالى

تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب
وإبراهيم بن حسن بن عاصم ومنصور بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه إلا أن
القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه
إلى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة أنه كفر وردة
محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فأشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى
وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام ووجه ترك
الاستتابة أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن
لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم
الزنديق ولم تقبل توبته وإذا انتقل من دين إلى آخر وأظهر السب بمعنى
الارتداد فهذا قد أعلم أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك
به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذهب أكثر العلماء وهو مذهب
مالك وأصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل

وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة
وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى
والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف
والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك وأصحابه في ذلك
ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا
وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم
وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين
توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن
الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ
وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية
يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في أهل الأهواء
من الإباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف
لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا
وميراثهم لورثتهم وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر
وغيرهم قال واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله له في المبسوط
في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا لرأيهم
السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال إن الله لم يكلم موسى

بكليهما المستتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون مثله
فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية
الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج
القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم
وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى
واشار الى شيء من جسده يدا او سمعا او بصرا قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه
وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع
يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه
يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله
التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف بقتل المستبصر الداعية وعلى هذا
الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي
لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن
عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك
والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم
في اخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية
واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الرافضة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى
القول الاخر ترك تكفيرهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر والحسن البصري
وهو قول جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين
ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وجري احكام الاسلام عليهم قال اسماعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية
وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض
كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب
انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان ايضا قد يدخل في امر الدين
من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل في تحقيق
القول في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع
والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه

لا يقول بما يؤدي به قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك
فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم
يخرجهم من سواد المسلمين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقال هم
فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال
سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك
المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام
واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف
قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه والى نحو هذا
ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله
في المسالة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض
كلامه انهم على راي من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم
ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد
وقال ايضا انا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين
واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب قول شيخه ابي الحسن
الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل
بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض
من يلقاه في الطريق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو
المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسالة
فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج
مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز
من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر
والخطا في ترك الف كافر اهون من الخطا في سفك محجمة من دم مسلم واحد
وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة
ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس
عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل فما جاء
منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته
الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم

من اهل الاهوا فقد يحتج به من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد
مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون
كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الريا وعقوق الوالدين والزوج
وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع
وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل
تحت اديم السما طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم
قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى
تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم
عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ها هنا حد
لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم
بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال
لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرون القران لا يجاوز حناجرهم
فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق
السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله
سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشي اجابه الاخر ان
معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم
ولا تعمل به جوارحهم وعارضهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي
التشكك في حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل
يخرج من هذه الامة وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم
الاخر بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف
لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي
وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف
المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا ادخالهم فيها
بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شا في التنبيه الذي نبه عليه وهذا
مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطهم من الالفاظ
وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول
جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك

وقال

وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله
وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال
بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف
الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم
يعرف الاصل فهو مخطي غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري
الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل
وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين
في واحد والمخطي فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد
حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني
قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ
الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا ومن غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في ان كثيرا من العامة والنسا والبله ومقلدة النصارى واليهود
وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال
وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقايل هذا كله
كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من
فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان
التوقيف والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف
او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر **فصل** في بيان
ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان
تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه
والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية
او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وساير فرق
اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابيين
والنصارى واليهود والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان
او الملايكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي
العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب
وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من
الروافض وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكن اعتقد انه
غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة

او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره
او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا وغيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين
كقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى
مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض
المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال
بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية
او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها
او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالاهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا عليه السلام
خصوصا او احد من الانبيا الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر
بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من
الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة
والاسماعيلية والعنبرية من الروافض وان كان بعض هولاء قد اشركوا في
كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه
السلام ولكن جوز على الانبيا الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم
يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة
واصحاب الاباحة فان هولاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من
الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس
منها شي على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة
المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمون مقالاتهم ابطال
الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك
من اضاف الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه
او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبيا او ازرى عليهم او اذاهم او قتل
نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدما
في ان في كل جنس من الحيوانات نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب
والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي
الى ان توصف انبيا هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازرا على
هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قايله
وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا عليه السلام

ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس
بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى
نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين
بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة
القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل
امام عند هولاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية
منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هولاء او من ادعى النبوة لنفسه
او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه
يصعد الى السما ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين
فهولاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه
السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم
النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في
كفر هولاء الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على
تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به
مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من
لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح
مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب
سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير
كل قايل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة
كقول الكميلية من الروافض بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله
عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في
التقديم فهولاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى
هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا
من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم
انه عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم
وصلى الله على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون

انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك
الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس
والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان
هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح
فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب
الخمر والزنى مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة
وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة
من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع
الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها
وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها
خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن
نص جلي والخبر عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال
من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم
ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة
اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهدة
الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة
الحج او قال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه
على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا ريب في تكفيره
ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين فلا تجد بينهم خلافا
كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه
الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة
والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا
اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به
وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى
بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد

والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق
لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب
اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط
فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول عليه السلام وفعله وتفسير
مراد الله تعالى به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون
لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر
القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسما
او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة
كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله
ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول
وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله سبحانه لمخالفتهم الاجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح
القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه بعد علمه انه من القرآن الذي
في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد
بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم
به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه
مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه
وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث والحساب والقيامة فهو كافر
باجماع النص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف
بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب
معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى
والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول
بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة
افضل من الانبياء واما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير
والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من
الدين كانكاره غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان
او خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا

سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من
المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان
ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم من ضعف المسلمين اجمع فنكفره
بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين والفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه
عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف
عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب اخرون
الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره
الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق
للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده
والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو
الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه
لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله
لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها
الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله
او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس
بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن
معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان
فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية
او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم
وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على
كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه فاما من
جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ها هنا فكفره بعضهم
وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري
مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري

قال

قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من
اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم
انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه
لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات
وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا
الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه
بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به
شرع يقطع به فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من
مجوزات العقول او قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها
وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط
للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهبت لبه فلم يؤاخذ
به وقيل كان في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا
من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل
العارف وله امثلة في كلامهم كقوله لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة
فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات
على مذهب المعتزلة فمن قال بالمال لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه
مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له
علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر
فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمال قولهم
ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا
لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمال الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن
وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين
الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب
لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم
عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحتهم
ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا على زمان الصحابة

وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدرية ورأي الخوارج والاعتزال فما
أزاحوا لهم قبرًا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثًا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب
والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند
المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافًا لمن رأى غير ذلك والله
الموفق للصواب قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه وأما مسائل الوعد والوعيد
والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من
الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل
بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئًا منها وقد قدمنا
في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته
بحول الله **فصل** هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي
فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه
من دينه وحاج فيه فخرج عليه ابن عمر بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك
في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوطة وكتاب محمد وابن
سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا
قتل ولم يستتب وقال ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوطة طوعًا قال
أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى
الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا
عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل
الأديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال
المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب
مسلمًا كان أو كافرًا فإن تاب وإلا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول
مالك وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر
قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة
وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت
به الله والنبي صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر
فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله به وسب نبيه لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا من كفرهم
ولا يسمعونا شيئًا من ذلك فمتى فعلوا شيئًا منه فهو نقض لعهدهم واختلف
العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ

لا يقتل

لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين
لا يقر عليه أحد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما أعلم من قاله غيره
فصل هذا حكم من صرح بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله
وإلهيته فأما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة
أو النافي أن يكون الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما
لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك
ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا
يرفه من شديد العقاب ليكون ذلك زجرًا لمثله عن قوله وله عن العودة
لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل
على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه
ولا تقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي وأما المجنون والمعتوه
فما علم أنه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه
وما فعله من ذلك في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب
على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى
ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن أبي طالب
رضي الله عنه من ادعى له الإلهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي
وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع
علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء
بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل
الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه
في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد
وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد
يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ
قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله خالقه أو ربه أو قال ليس
لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية
فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أم أعلنه فهو كالمرتد وقال سحنون
وغيره وقال أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن كان
معلنًا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن

لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل
عذره وهذا على القول الآخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي
في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة
الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين **فصل** واما من تكلم من سقط
القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة
ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام
لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد
فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله
بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف
والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف
بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان
بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى
قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى
بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم ربا عبدناه
ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير
بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه
واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه
وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك الهنة
الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب
بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها
وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم
لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل
وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب
ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد
اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه
الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا
نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه
الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول

بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل
علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب
الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ
له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله
منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم
ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض
من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول
للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان
يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على
اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول
هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب
سابه النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق
فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم
او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق
ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله الآية وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم الآية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد
وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء
او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم
وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال
القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله وملائكته قتل
وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن
قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا
قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم
كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على
من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن
القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك

فصل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة

فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام

الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل

فصل وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى

نا ابو علي التستري نا ابن محبوب نا الترمذي نا محمد بن يحيى نا يعقوب
ابن ابراهيم نا عبيدة بن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى
الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم في اخر الزمان
يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم
وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه وقد
اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه واذى النبي حرام فقال
لا توذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا توذوني في عايشة
وقال في فاطمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في
هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك
رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب
وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر
او عثمان او معاوية او عمرو بن العاصي فان قال كانوا على ضلال وكفر
قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال
ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا
ومن زاد الى بغض ابا بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال
سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان
او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال
في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن
شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك
من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد
خالف القران وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي
ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه

اليه

اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيرة
وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تبريتها من السوء كما سبح نفسه في تبريته
من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشة ومعنى هذا والله اعلم
ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كان موذي نبيه كذلك كما قدمناه
وشتم رجل عايشة بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا
فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه الى الحجامين وروي
عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد الاسود
فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي يهجو الانصار
فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفي حق قد قسم الله الفي في ثلاثة اصناف
فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم
الاية وهولاء الانصار ثم والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له في في المسلمين وفي كتاب
ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا
حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره
ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة
حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما
يجب له والا فمن قام من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا
كحقوق غير الصحابة لحرمة هولاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد
عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ففيها قولان احدهما يقتل لان النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها
كساير الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك
من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا
حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في
رجل انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار
وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل

هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والتعبيه الذي صوب قوله بلواحق
باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويوحش ولا تقبل فتواه ولا شهادته
وفي جرحه نابتذ فيه ويبغض في الله قال القاضي ابو الفضل هنا انتهى القول بنا
فيما حررناه وانجز الغرض الذي انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما
ارجو ان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه
عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر
التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط الكلام فيه
او مقتدي يفيدنيه عن كتابه او فيه لا اكتفي بما ارويه عما ادويه والى الله تعالى
جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع
لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه
وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز
خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا عن نار الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن
لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا
يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها
رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل
الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى
اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه
وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعا لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل
لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر
من خذله ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين
وهو حسبنا ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا
ونبينا محمد خاتم النبيين
وعلى آله وصحبه
اجمعين
وسلم
م

[illegible]